البحث الثاني

عاداتهم، تقاليدهم، لباسهم، أعراسهم، أعيادهم، مجالس العزاء

إن الكثير من العادات والتقاليد يفرضها المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، والمثل العراقي يقول (من عاشر القوم أربعين يومًا صار منهم)، لقد عاش الصابئة المندائيون أجيالاً وأجيالاً في وطنهم الأم العراق، لذا فإن لباسهم لا يختلف كثيرًا عن لباس سائر العراقيين، حيث كان رجالهم يلبسون الصاية والبالطو والعقال والكوفية البيضاء أو الحمراء، وكان العقال الأسود هو السائد في لباسهم، وبعض وجهائهم يلبسون العقال المقصب بالذهب.

وقد طور الرجال لباسهم وهيئتهم وأخذوا يلبسون الملابس الغربية ويقلدون أحدث الموضات العالمية، أما نسائهم فكن يلبسن العباءة والشيلة، والكبيرات بالسن منهم يلبسن العصابة، قطعة قماش تلف على الرأس بما يشبه العمامة، وهناك أيضًا السرسوحة والبوشية والتي لم تعد تلبسان من قبل نساءهم، كما تخلت الكثيرات عن لبس العصابة، وبقي البعض منهن متمسكات بلبس الشيلة والعباءة إلى يومنا هذا.

ويحدثنا التاريخ عن صابئة حران حيث كانوا يلبسون (القبابي) في رؤوسهم، وهذه تشبه الطربوش، ويقال إنها فرضت عليهم لكونهم من أهل الذمة، وقد يكون ذلك غير صحيح... في الوقت الحاضر لم يعد لهم لباس خاص بهم، ما عدا رجال دينهم الذين يلبسون ملابس مميزة في البعض منها، ولكنها غير موحدة للجميع، فمنهم من يلبس العقال والكوفية والصاية والبالطو، ومنهم من يلبس الملابس الأفرنجية ويضع على رأسه قبعة أو يلف رأسه بكوفية بيضاء بما يشبه العمامة، ومنهم من يلبس ملابس بيضاء من ابتكاره وبالاتفاق مع خياط الملابس.

وبشكل عام فإنهم يميلون إلى اللون الأبيض لأن الملابس الدينية (الرستة- التي تتألف من خمسة قطع، أربعة منها تكون من القماش الأبيض وهي السروال والقميص والعمامة والنصيفة، أما القطعة الخامسة فتحاك من الصوف الأبيض) ولا يجوز أن يكون لون الرستة غير الأبيض بأي حال من الأحوال، لأنهم يعتبرون اللون الأبيض مشابهًا للنور...

وهذا نص من كتاب المندائيين (الكنزا ربا) يأمر المندائيين بذلك: (البسوا الأبيض واكتسوا الأبيض، ألبسة الضياء وأردية النور، واعتموا بعمائم بيض كالأكاليل الزاهية، وانتطقوا بأحزمة الماء الحي التي ينتطق بها الأثريون).

ولغرض توحيد شكل ملابس رجال الدين يتطلب الأمر تشكيل لجنة متخصصة في هذا المجال تقوم بتصميم ملابس خاصة لكل مرتبة دينية (الترميذا والكنزبرا والريشما)، وبإمكان هذه اللجنة أن تستعين بمصممي أزياء بعد إطلاعهم على المتطلبات الدينية، وهذا يعطي الهيبة لرجال الدين ويجعل من اليسر التعرف على درجاتهم الدينية من خلال ملبسهم...

الملابس الدينية المنوه عنها (الرستة) لا يقتصر لبسها على رجال الدين فقط، بل إنها تلبس من قبل جميع المندائيين أثناء إجراء الطقوس الدينية، فمثلاً عند إجراء مراسيم المهر يلبسها العروسين، وكذلك تُلبس أثناء طقس الصباغة، وفي مناسبات أخرى، وفي جميع الأحوال يجب أن تلبس الرستة بأجزائها الخمسة كاملة دون نقصان، وأن يربط الحزام (الهميانة) بصورة صحيحة، وتلف العمامة بالطريقة الصحيحة أيضًا.

أما في حالة الوفاة فإن لبس الملابس البيضاء واجب دينيًا، والتي تسمى في هذه الحالة (قماشي) أو الكفن، والتي هي نفس القطع الخمسة التي تتألف منها الرستة، في حالات الوفاة الاعتيادية، وعندما يكون الإنسان مقبلاً على الوفاة (رجلاً كان أم امرأة) بسبب المرض أو الشيخوخة؛ يتوجب على ذويه أن يطمشوه (يغسلوه) بماء يجلب من النهر، أو أي مصدر آخر للماء الجاري (إن

أمكن ذلك)، ويلبسوه الملابس البيضاء، وغالبًا ما يقوم بهذه المهمة رجل دين أو أي شخص آخر له إلمام ومعرفة بالأمور الدينية، وذلك لكي يكون لبس الملابس بشكلها الصحيح.

بعدها يسجى على فراش نظيف ومغطى بقماش (شرشف) أبيض ويكون اتجاه وجهه نحو جهة الشمال، ويبقى المحيطين به يراقبونه إلى أن يفارق الحياة، أما إذا توفي الشخص دون أن تتم له هذه الإجراءات ولأي سبب كان؛ ففي هذه الحالة يجب أن تعمل له طقوس خاصة وتسمى (مسقثا)، وهي سلسلة إجراءات فيها نوع من الصعوبة، لأنه حسب المعتقد المندائي أن هذه الإجراءات (لبس الملابس البيضاء) تكون واجبة لكي تعرج نفس (نيشمثا) المتوفى إلى عالم الأنوار... (راجع الفصل الخامس، البحث السادس).

وبعد الوفاة يتم تكليف أحد رجال الدين بإقامة طقس اللوفاني (الثواب) على روح المتوفى ولمدة خمسة وأربعين يومًا متواصلة، كذلك يتم إجراء هذا الطقس في جميع المناسبات الدينية (راجع الفصل الخامس، البحث السابع).

ورغم التغييرات التي طرأت على حياة المندائيين فإنهم لازالوا مواظبين على أداء هذه التقاليد والتي يعتبرونها تعاليم دينية ملزمة، يدفعهم لذلك حبهم لموتاهم ولقناعتهم بهذه التعاليم ولإيمانهم بالحياة الثانية الأبدية التي يعيشها الإنسان بعد أن يفارق هذه الحياة الفانية.

لقد تعود المندائيون وخاصة نسائهم على لبس الملابس السوداء تعبيرًا عن الحزن على المتوفى وكذلك عند حضورهن إلى مجالس العزاء للمتوفين من الأقارب والأصدقاء، وهذه العادة مكتسبة من المجتمع المحيط لأن التعاليم الدينية المذكورة في كتاب (الكنزا ربا) تدعو إلى لبس الأبيض وأن رجال الدين يلحون على ذكر ذلك في جميع المناسبات، وفي الوقت الحاضر بدأت بعض النسوة بالتخلي عن لبس الأسود عند حضورهن مجالس العزاء كما تقوم البعض منهن بوضع الشال الأبيض على رأسها، وقد يكون لبس الأسود من قبل أهل

المتوفى يأتي تماشيًا مع العادات السائدة في المجتمع، ولأنهم لا يحبذوا أن يميزوا أنفسهم عن باقي أبناء شعبهم بأي حال من الأحوال.

مجالس العزاء لها ميزتها الخاصة إذ تقام غالبًا في (المندي) وحاليًا في بلدان المهجر تقام في مقرات الجمعيات المندائية ، أو في قاعات تستأجر لهذا الغرض، في السابق وعندما كنا في العراق كانت تقام مجالس العزاء (الفاتحة) لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث يقدم الطعام للمعزين وبكرم، حيث تتم دعوة الجميع لتناول الطعام (الثواب) ودائمًا ما يفضلون السمك المسكوف لأن تحضيره سهل ولا يحتاج إلى إجراءات دينية صعبة، كذلك يقدم الثواب في اليوم السابع للوفاة، وفي الختمة بعد ٤٥ يوم على الوفاة.

وفي الآونة الأخيرة خففت مراسيم تقديم الطعام في الفواتح كثيرًا، حيث يحضر الغالبية من المعزين إلى القاعة التي يقام فيها مجلس العزاء، ويقدم لهم واجب الضيافة مثل القهوة والشاي والتمر مع الجوز، لأن الغالبية العظمى أخذت تنفذ ما يطلبه رجال الدين منهم، حيث إنهم يقولون دائمًا إن إرسال مبالغ مالية إلى العوائل المحتاجة ماديًا (المتعففين)، والذين تقطعت بهم السبل في دول الانتظار وكذلك في العراق يكون أثوب للمتوفى.

أما أعراسهم فتقام فيها الحفلات ببذخ واضح، حيث يقوم أهل العروسين بتوجيه الدعوة للأقرباء والأصدقاء لمشاركتهم أفراحهم، وقد لاحظت في بلدان المهجر أن حفلات الزواج مكلفة ماديًا؛ في السابق كان أهل المحلة يشاركون في تحمل جزء من تكاليف الزواج ، حيث يساهمون بتوفير بعض الطعام واستقبال الضيوف القادمين من المدن الأخرى، حيث لا يُقتصر مبيتهم وضيافتهم على عوائل العروسين بل يشاركهم الآخرون في ذلك ، وهذه العادات التي كانت سائدة في الكثير من مناطق العراق.

أما عن مجالسهم فقد كانوا في الماضي يعيشون في العديد من أقضية ونواحي العراق الحبيب مثل سوق الشيوخ والحلفاية (ناحية المشرح) ومسيعدة وقلعة

صالح وغيرها... ومن مشاهداتي لهم في ناحية المشرح وأثناء فصل الصيف كان لوجهائهم وأخيارهم مجالس على ضفاف النهر ، يفرشونها بأفضل ما عندهم ويصنعون القهوة ويقدمونها لضيوفهم كما يقدمون وجبة العشاء ، وفي هذه المجالس تكثر سوالفهم ويتطارحون الأشعار والقصص والمثل والقيم والأمثال والحكم، بعض أحاديثهم اجتماعية وبعضها سياسية، كما يتم خلال تلك المجالس طرح المشاكل القائمة بين الأفراد أو العوائل لكي يساهموا بحلها.

توجد للمندائيين مراكز ثقافة متعددة لها إصدارات مطبوعة، وتقوم هذه المراكز بتنظيم المناظرات والمحاضرات الثقافية والدينية وأحياناً السياسية ، ومن العادات التي كانت سائدة بين المندائيين هو إنهم إذا كانت مجموعة منهم تعمل في محلات تجارية تكون متقاربة ، وإذا حدثت حالة وفاة لدى أحدهم ترى الجميع يُغلقون محلاتهم ويشاركون في جنازة المتوفين وفي هذا دلالة واضحة على التكاتف والتعاضد والتكافل الاجتماعي الرائع والمحبب للنفوس.

كما كانت لديهم عادة متبعة في عيدهم الصغير حيث إنه في صباح ذلك اليوم تقوم جميع العوائل بتحضير التمن (الأرز) والروب (الخاثر) ليفطروا به، تقوم العوائل بزيارة بعضها البعض وفي كل بيت يأكلون قليلاً من أكله للتعبير عن المشاركة والابتهاج بالعيد...

علمًا أن هذا العيد يسمونه (عيد الازدهار) لأن الأرض ازدهرت في هذه المناسبة عند الخلق والتكوين بالأشجار والأثمار والحيوانات ودبت فيها الحياة، وهنا الأرز يرمز إلى الحبوب والإنبات، أما الخاثر فيرمز إلى الثروة الحيوانية، الأرز والخاثر لونهما أبيض رمزًا للخير الوفير والسلام والمحبة والنعمة التي أنعم بها الله على خلقه.

أما في عيدهم الكبير فلديهم معتقد الاعتكاف (الكراص) في البيوت وعدم الاختلاط مع الآخرين لمدة ٣٦ ساعة بعد أن يجهزوا بيوتهم بما لذ وطاب من مأكل ومشرب ، حيث إنه في هذه الفترة لا يجوز لهم الخروج من البيت أو

التزاور حتى ولو مع جيرانهم، وهذا اعتقاد قديم يفسره رجال الدين للناس على إنه هناك ثلاث ملائكة يحرسون هذا العالم يذهبون مثل لمح البصر في هذه الفترة من السنة إلى عالم الأنوار، حيث تستغرق رحلة ذهابهم وإيابهم ومكوثهم هناك مدة ٣٦ ساعة، وتقارن سرعة حركتهم بسرعة وصول ضوء الشمس إلى كوكب الأرض.

أما خطوات الزواج عندهم؛ فقد كان في السابق إذا أرادت العائلة تزويج أحد أولادها فإنهم يختارون العائلة التي يريدون مصاهرتها وتقوم أم الولد باختيار الفتاة التي تناسب ولدها، وبعدها يقع الفأس بالرأس.

تطورت الأمور وأصبح الولد يختار الفتاة التي يريد الارتباط بها ثم تقوم أمه بزيارة أهل الفتاة وتطلب الفتاة من أمها، وبعد عدة أيام يقوم خلالها أهل الفتاة بالسؤال عن الولد وأهله، ويعطون جوابهم بالرفض أو الموافقة، فإذا كانت هناك موافقة؛ يذهب أهل الولد إلى أهل الفتاة مصطحبين معهم عدد من الوجهاء ورجل دين (إن أمكن ذلك)، وتتم خطبة الفتاة والاتفاق بين العائلتين على بعض التفاصيل فيما يخص فترة الخطوبة وموعد الزواج.

في الوقت الحاضر أصبحت الأمور أكثر تطورًا، وتغيرت الكثير من العادات التي كانت سائدة، وأتيح للشباب من الجنسين الالتقاء في فترة الدراسة في المعهد والجامعة أو في مواقع العمل، وأثناء اللقاءات في النوادي حيث يتعرفون بعضهم على البعض الآخر، ومن ثم يتفقون فيما بينهم على الكثير من الأمور ليقوموا بعدها بإخبار أهلهم.

ومازال المندائيون في بلدان المهجر متمسكين بهذه الأمور، ولكن البعض أخذ يتساهل فيها كثيرًا إلى درجة عدم الالتزام بالثوابت الدينية الواجبة، وشخصيًا أعرف عدد من الشباب لم يضعوا اعتبارا لعقد الزواج عند رجال الدين، بل يكتفون بالعقد الرسمي، عالمًا أن الغالبية العظمى من المندائيين يرفضون ذلك ويستهجنونه ويرفضون ارتباط أبنائهم برابطة الزواج من الأبناء الذين لم يعقد

والديهما عند رجل الدين ، بل اكتفوا بالعقد الرسمي ، ويضربون مثلاً غير محبب بمثل هذه الزواجات.

أما عن موضوع نحر الطيور الداجنة والحيوانات التي حلل الله أكلها فهذه لها حكاية نقصها بإيجاز ، عندما يريدون ذبح طير يجب أن يُذبح من قبل رجل دين أو شخص مؤهل دينيًا ، ويسمى (حلالي) ، والذبح محلل طيلة أيام الأسبوع وإن كان يوم الأحد المبارك لديهم هو اليوم المفضل للذبح ، ولا يجوز الذبح في أيام محددة من السنة ، وهذه الأيام تسمى (مبطلات) جمع مبطل ، وذلك لأنها تعتبر أيام صيام لا يجوز فيها الذبح.

وعلى سبيل المثال إذا أريد ذبح دجاجة إلى امرأة ؛ تقوم هذه المرأة (التي يشترط أن تكون غير حائض) بالتأكيد من عدم وجود أي تشوه بالدجاجة وتنظيف رجليها بالماء ، ورش قليلاً من الماء على ريشها ، مع ذكر اسم (الحي العظيم– الله) أثناء هذه الخطوات ، وتأتي بها ملفوفة بقطعة قماش بيضاء وتسمى (كدادة ٢٧) إلى من سيقوم بذبحها ، والذي يكون مستعدًا ومرتديًا ملابسه الدينية (الرستة) ويقف بجانبه وممسكًا بكتفه شخص مؤهل دينيًا ويسمى (إشكندة ٢٨) أي الشاهد ، يمسك الذباح بيده سكينًا من حديد سبق له أن سخنها على النار لغرض تعقيمها ، ويلف على قبضتها غصن من شجرة الزيتون أو شجرة الغرب ، يمسك الذباح الدجاجة بيده اليسرى من أسفل جناحيها ، والجهة الخلفية من عنقها ، ويبدأ بنحرها وهو يردد بوثة دينية يبرئ نفسه من خلالها من خطيئة الذبح.

أما الشاهد فيردد بعده : (أنا شاهد... أنا شاهد... أنا شاهد) ، بمعنى أنني سوف أشهد لك في يوم الحساب أنك لم تذبح بطرًا أو لأجل أن تقتل الدجاجة عمدًا ، وأنك أكملت التعاليم الدينية الواجبة ، بعد أن يكمل عملية الذبح يلف الدجاجة بقطعة القماش البيضاء لكي لا تمس الأرض ، مما قد يؤثر على طهارتها ، ويسلمها لصاحبتها.

وعن كلمة (كدادة) أذكر أنه تحدث أحد الباحثين وهو الأستاذ صبيح مدلول قائلاً إن اسم بغداد تعني (أرض الحماية)، وقد قال ذلك في أحد المؤتمرات واستحسن عدد من الحاضرين هذا القول ، ولكن لم يتفق معه عدد كبير من الأساتذة الحضور المختصين.

أما عن أكل المندائيين للأغنام؛ فهم يأكلون الذكور منها دون الإناث، وذلك لأن الديانة المندائية تحرم أكل المشوه والحامل والحائض والتي أجهضت ، ولربما يكون تحريمها لسبب اقتصادي ، إضافة إلى السبب الديني وذلك لأن الإناث ولادات ويدرن الحليب، والذكور لا مشاكل اقتصادية في ذبحها، لأن ذكر واحد منها أو اثنين يكفي لأداء المهام لقطيع كامل من النعاج (أي لتلقيح النعاج لتصبح حوامل).

أما الأبقار فهم يربونها ويعتنون بها ، وفيما مضى من الزمن القريب كانت أغلب البيوت المندائية تربي أبقارًا حيث توفر لها مكانًا مناسبًا (مراح) وكانوا يستفيدون من حليبها ومشتقاته ، وكذلك من مخلفاتها التي يجففونها على شكل أقراص وتسمى (مطال) والذي يستخدم كحطب ، شأنهم في ذلك شأن الآخرين من العراقيين.

وعلى سبيل الطُرفة... سأل ضابط تدقيق الجوازات في المطار أحد الإخوة المصريين المسافرين عن المهنة التي يزاولها في العراق ، فكانت إجابته أنه يعمل في صناعة الأقراص النارية في قضاء المحمودية ، وقد فهم الضابط من ذلك أنه يعمل في إحدى المنشآت الصناعية الموجودة في تلك المنطقة أو التي تنتج الأعتدة للأسلحة النارية، ولكن الرجل أجابه: (كلا... يا بيه أنا أمرح في البقر ومن مخلفاتها أصنع الأقراص التي تستخدم كمصدر حراري بعد أن يتم شعلها وهي جافة)... ففهم الضابط أنه يصنع (المطال).

وعن ذبح الأبقار فهم يحرمون ذلك لأسباب دينية أو اقتصادية (الله أعلم) ، في بلدان المهجر يصعب على المرء أن ينحر (ولو دجاجة) مهما كانت ديانته أو

المناسبة التي يريد أن يحييها ، وذلك لأن القانون يمنع الذبح (سواء الدواجن والأنعام بأنواعها) أو تربيتها خارج الأماكن المخصصة لذلك... ومن يجازف ويخالف هذه التعليمات فإن حسابه يكون عسير...

وأنا شخصيًا أعرف بعض الرجال والنساء الملتزمين دينيًا حرموا أنفسهم من أكل اللحوم واكتفوا بأكل الأسماك والخضروات فقط، أما الذين ليس لديهم التزام بكافة التعاليم الدينية فإنهم سايروا الظروف واكتسبوا الكثير من عادات وتقاليد البلدان التي هاجروا إليها ، ومن الأمور التي يتميز بها المندائيون هي محببة للآخرين أن صداقتهم مع من يصادقونه بمعنى الكلمة وأن جارهم بمثابة الأخ لهم يشاركونه في السراء والضراء ، ويحافظون عائلته ويحترمونها ، ويعاملون زوجة الجار معاملة الأخت وأبناءه كأبنائهم ، وهنا تبرز عندهم وبوضوح قيم الشرف والفضيلة ، مثلهم في ذلك مثل غالبية أبناء الشعب العراقي والعوائل العراقية الفاضلة الكريمة.

الدين الصابئي : الزواج مسؤولية كل صابئي وصابئية :

هل من حلول لتشجيعه في الوقت الراهن؟... من الأخت خلود فاضل غضبان وردتنا مساهمة تناولت فيها قضية الزواج في الوقت الراهن والعراقيل الجمة التي تقف حائلاً دون تحقيقه، وفي مقدمتها الظروف الاقتصادية الصعبة التي نعيشها جراء الحصار المفروض علينا، وتفشي البطالة بين الشباب وكذلك مغادرة أعداد كبيرة من شبابنا وعوائلنا أرض الوطن إلى بلاد المهجر...

كل هذه الأسباب وربما هناك أسباب أخرى أدت إلى تراجع واضح في وتيرة الزواج لدينا، وهي تؤكد أن أعداد الفتيات غير المتزوجات أكثر بكثير من أعداد الشباب الموجودين داخل الوطن، أليس هذا بحد ذاته يعتبر من الأسباب الرئيسية المسببة لهذه المشكلة الخطيرة، وتذكر كذلك في متن مساهمتها أن بعض من شبابنا قد اقترن بفتيات من خارج الطائفة، وكذلك بالنسبة لبعض الفتيات.

وتطرح الأخت خلود بعض المقترحات التي تراها تساعد في إيجاد بعض الحلول لهذه المشكلة، ومنها:

- تكوين لجنة مهمتها وضع استمارات خاصة بالزواج تتضمن معلومات كافية عن الشباب والشابات (الاسم الرباعي- سنة الولادة- التحصيل الدراسي- الوظيفة- العنوان الصحيح)... ثم بعدها تطرح المشاكل التي تعترض سبيل الزواج ضمن الاستمارة، وتوزع الاستمارات ثم تجمع وتفرز.

- إيجاد صندوق للتبرعات والهبات مخصص لهذا الغرض، أي مساعدة شابين على الزواج.

- الاتصال بالجمعيات المندائية في المهجر والتنسيق معها لهذا الغرض.

- عقد ندوات ولقاءات شبابية في نادي التعارف أو في المندي أو في الكليات، هدفها تعزيز أواصر الصداقة بين شبابنا وشاباتنا، وإيجاد فرص مناسبة تفضي إلى حالة الزواج.

– تثقيف وتوعية فتياتنا ألا تكون طلباتهن غير منطقية وبعيدة عن الواقع ومرهقة لكاهل المتقدم للزواج.

هذا ما طرحته الأخت خلود فاضل غضبان من آراء ومقترحات تخص مشكلة من أبرز المشاكل التي تواجه المندائيين في الوقت الحاضر.

وهنا شرح تفصيلي عن قدسية الزواج المندائي كتبه الباحث أمين فعيل ، توضيحًا أمينًا صادقًا لمزيد من المعرفة والإطلاع:

الزواج رابطة قوية بين الزوجين ونظام اجتماعي يرقى بالإنسان ويرتفع به من مكان الوحدة والانفراد في أحضان السعادة وأنس الاجتماع، وفيه ترويح للنفس ويبعدها عن السآمة والملل ، فهو عماد الأسرة التي منها يتكون المجتمع الإنساني ، وبه حفظ كامل للنوع يتدرج في مدارج الرقي والكمال ، بالتناسل الشريف بعيدًا كل البعد عن الزنا، لأن الزنا لا يحفظ هذا النوع من الانقراض، وإن حفظه في ظل حياة وضيعة متفككة الأوصال يلفظها المجتمع السليم ، ويأباها العقل المستنير ، وأحلى ثمرات الزواج ذرية صالحة تقر بها العين وتكون مدرارًا لحياتهما، ونورًا يسعى بين أيديهما، ومما لا ريب فيه أن نهر الحياة الاجتماعية خارج من ينبوع العائلة، إذ أن الأسرة هي العين الزاخرة والمفتوحة دائمًا دون أن تنضب أبدًا، لأنها تمتلئ من جداول شقتها يد العناية شقًا، وجعلتها في مأمن من أن تمسها يد البشر بضرر.

ونظرًا لأهمية الحياة الزوجية في الأديان السماوية لم تهمل أمر تنظيمها ، ووضعت لها حدودًا تكفل السعادة فيها، لقد خص الزواج بالكثير من النصوص الدينية والحكم والوصايا، فأول وصية نطق بها الملاك هيبل زيوا لآدم الزوج وحواء الزوجة هي: (تزوجوا واستقروا منكم سيزداد العالم)، ولم يقف عند ذلك بل راح يحث ويشجع على الزواج، وإليك نص من الكنزا ربا يقول:

(أيها الرجال العازفون عن النساء ، أيتها النساء العازفات عن الرجال ، هل وقفتم على ساحل البحر يومًا ؟ هل نظرتم إلى السمك كيف يسبح أزواجًا ؟ هل

نظرتم إلى السماء ، أما رأيتم الحمائم تطير أزواجًا ، هل صعدتم إلى ضفة الفرات العظيم ؟ هل تأمّلتم الأشجار واقفة تشرب الماء على ضفافه وتثمر ؟ فما لكم لا تُثمرون ؟ أفلا نظرتم إلى الأنهار اليابسة كيف تذبل الأشجار على شطأنها وتموت ؟ كذلك أنتم أيها العزاب ستموتون ، أيها الآباء أقيموا أعراسًا لأبنائكم ، وأقيموا أعراسًا لبناتكم ، وآمنوا بربكم... إن العالم إلى زوال).

ويتوقف الزواج على التوافق بين الزوجين وإلا فقد يصيبه الفشل بسبب انعدام التوافق بين الزوجين، والفشل حتمًا سيمتد إلى الأبناء والأحفاد، وبالتالي يشمل المجتمع لأن البيت المتهدم يخلق أجيالاً من المنحرفين قد تصل بهم الحالة إلى الجنوح مما يجعلهم في حالات كثيرة طريدي المجتمع، وقد يشكل النواة الأولى لخلق العداوات، فينعدم الأمان، لذا فالدين المندائي يدعو إلى الزواج المثالي الذي يقوم على المحبة والإخلاص والذي تسبقه فترة يتم فيها اختبار التكافؤ الاجتماعي والمزاجي لكل من زوجي المستقبل وإليك وصية من وصايا الكنزا ربا بهذا الشأن:

(يا رجال ويا نساء إن نويتم الزواج أظهروا المحبة الصادقة واختاروا واشبكوا، فإذا كتب لكم ذلك وملأ الحب قلوبكم تزوجوا ، ولكن إذا لم تختاروا وتزوجتم فليتحمل أحدكم الآخر كالمريض على فراش المرض ، فإذا عملت أعمالاً كريهة غير مألوفة لنفسها ابتعدوا عنها ولا تمنحونها الثقة لأنها تُشبه المرض العضال الذي لا شفاء منه).

إذن فالاختيار المناسب لكل من العروسين يعتبر أهم اختيار في حياة الإنسان كلها إذ تتوقف عليه سعادة الإنسان وشقاؤه ومن أجل ديمومة السعادة الزوجية يدعو الدين المندائي إلى دوام المحبة المتبادلة بين الزوجين، وإليك وصية أخرى من وصايا الكنزا ربا بهذا الشأن:

(أحببت حبًا صادقًا الزوجة التي تزوجتها بالحق وبمشيئة الحي العظيم ، ولا ينتقص بعضكم من البعض الآخر حتى تكتمل أقداركم في الحياة ، فمن خدع

زوجته التي تخلو من الغش والعيوب وأحب واشتهى ملذات هذا العالم فهو غشاش وخاسر ويكون مسؤولاً في دار الحساب وسوف تكون النار مستقرًا له وعيناه لا ترى النور).

ويدعو الدين المندائي إلى التكافؤ بين الزوجين خوفًا على الحياة الزوجية ومستقبل الأبناء بالدرجة الأولى وضمانًا لنجاح الزواج، يجب أن يسعى كل من الزوجين أن يجعل الآخر مكافئًا له، فمن وصايا الكنزا ربا: (لا تتزوجوا خادمة غير معتوقة ولا تجعلوا أبنائكم خدمًا في بيت الأسياد فإذا تزوجتم أعطوا الفدية واعتقوهن ونعمتكم مقبولة وإلا فإذا أخطأ الأبناء فسوف تقع أخطاؤكم على رؤوسكم).

كما وأن الدين المندائي يركز على نقطة خطيرة جدًا؛ جديرة بالاهتمام عند اختيار الزوج، فالإنسان عندما يتزوج لا يتزوج بمجرد امرأة أو بمجرد رجل، بل إنه يرتبط مع أسرة كاملة، لذلك فقبل الاختيار يستوجب دراسة الأسرة دراسة مسهبة ومستفيضة، وعليه الابتعاد كل البعد عن الأسر الشريرة، فمن وصايا نبينا يهيا يهانا: (يا مختاري لا تكونوا عاجزين ولا معيبين ولا تنتهجوا الكذب بأقوالكم ابتعدوا عن مغريات الدنيا والحياة الفانية، اختاروا زوجة وتزوجوا لا تتزوجوا زوجة من الأشرار ولا تكونوا وقودًا للنار الحامية).

كما ينصح الدين المندائي كل النصح الشباب والشابات ألا يفكروا مطلقًا بالزواج من دين آخر فالدين المندائي يتصف بصرامة المبادئ والأنظمة، ويحرم الزواج المختلط ويعتبره خروجًا عن الدين المندائي، لأنه إذا حدث زواج كهذا فإنه حتمًا يؤدي إلى حدوث أخطاء عظيمة تتفاقم على مر السنين، ولا يمكن التغلب عليها مهما صدقت النية في الزواج، لأن القدرة على مقاومة الصعاب والعقبات تتضاءل أمام ضخامة المطالب والتبعات، ويجب الأخذ بنظر الاعتبار أن الاعتبارات عند الشباب قد تترسخ فيها آراء وعادات ثم تعود للآراء الدينية بتأثيرها الجلل كلما ظهرت المطالبة الروحية أثناء الحياة، فمهما كان العروسان لا يهتمان للدين إلا اسمًا وعلى الورق؛ فإن الفاجعة تكون أعظم عندما يكبر

الأبناء لأنهم سوف يصطدمون بجدار متين؛ ألا وهو جدار الدين الذي يقف حائلاً أمام زواج الأبناء من الأقارب، وسوف يقف الآباء عاجزين أمام الموقف الذي يزداد سوءًا على مر الزمن، وسيؤدي إلى خلق العداوات والكراهية القاتلة بين الأبناء والأقارب، ويؤدي ذلك إلى تشتت الأسرة وانحرافها عن المجموع، وتبقى رابطة الدم التي تغذي الأواصر بين الأسر سبب وجيه للتعاسة، والنواة الأولى لخلق العداوات، فينعدم الأمان، لذا فالدين المندائي يدعو إلى الزواج المثالي الذي يقوم على المحبة والإخلاص، والذي تسبقه فترة يتم فيها اختبار التكافؤ الاجتماعي والمزاجي لكل من زوجي المستقبل...

وإليك وصية من وصايا الكنزا ربا بهذا الشأن: (يا رجال ويا نساء إن نويتم الزواج اظهروا المحبة الصادقة واختاروا واشبكوا، فإذا كتب لكم ذلك وملأ الحب قلوبكم؛ تزوجوا، ولكن إذا لم تختاروا وتزوجتم فليتحمل أحدكم الآخر كالمريض على فراش المرض، فإذا عملت أعمالاً كريهة غير مألوفة لنفسها ابتعدوا عنها ولا تمنحوها الثقة، لأنها تشبه المرض العضال الذي لا شفاء منه).

إذن فالاختيار المناسب لكل من العروسين يعتبر أهم اختيار في حية الإنسان كلها، إذ تتوقف عليه سعادة الإنسان وشقاؤه، ومن أجل ديمومة السعادة الزوجية يدعو الدين المندائي إلى دوام المحبة المتبادلة بين الزوجين، وإليك وصية أخرى من وصايا الكنزا ربا بهذا الشأن:

(أحبب حبًا صادقًا الزوجة التي تزوجتها بالحق وبمشيئة الحي العظيم، ولا ينتقص بعضكم من البعض الآخر حتى تكتمل أقداركم في الحياة، فمن خدع زوجته التي تخلو من الغش والعيوب، وأحب واشتهى ملذات هذا العالم فهو غشاش وخاسر ويكون مسؤولاً في دار الحساب، وسوف تكون النار مستقرًا له وعيناه لا ترى النور).

أما المراسم الدينية للزواج فيمكن إيجازها بما يأتي:

الصباغة : إجراؤها خطوة في غاية الأهمية ولابد منها لأن الصباغة كما تعلم سر من أسرار النور وولادة سماوية جديدة وهي لا تتم إلا بالماء الجاري فكما أن الماء يزيل الأوساخ والأدران العالقة بالجسد فهو أيضًا يشير ويرمز إلى نعمة الحي العظيم الخفية التي ينالها الإنسان بغفران الخطايا والذنوب ، فالصباغة إذن تطهير لروحي العروسين من أجل التحامهما بالأصرة الزوجية المباركة ، وهي تشبه التحام المعادن ، إذ لا يتم الالتحام إلا إذا كانت منطقتا الالتحام في غاية من النظافة ، ولهذا الغرض يستخدم الصائغ البورك والتنكار بالإضافة إلى ذلك تجرى الصباغة من أجل إعطاء يمين العهد (الكشطا) كي يقسم كل من العروسين أمام رجل الدين ولا يحنث بقسمه، ولا يميل عن زوجه، ويقتسم معه الحياة مناصفة بالسراء والضراء ، ويصون سمعته ولا يفترق عنه مدى الحياة...

يتجلى من المرحلة الثانية من مراحل أداء مراسيم الزواج ما يلي:

١- إن الدين المندائي دين سمح ، لا يؤمن بالتعسف والاضطهاد والإكراه وخاصة في الزواج ، لذلك فالحلالي الذي يقوم مقام الأب للعروس لديها القناعة الكافية بالزواج ، وأنها فعلاً راغبة بالارتباط بذلك الزواج ، وتؤكد له إنها غير مكرهة على اتخاذ هذا القرار.

٢- إن الدين المندائي دين عادل ، فهو يمنح المرأة نفس ما يمنحه للرجل من حقوق وواجبات ، تلزم كل رجل وامرأة بالتعاون المثمر في كل مجالات الحياة ، وخاصة تربية الأبناء ، وتحمل مسؤولية توجيههم بصورة صحيحة ، فرجل الدين الذي يرأس المجلس والذي يفضل أن يكون كنزفرا لأنه يفترض به أن يكون أكثر خبرة ومعرفة ودراية بأسرار الدين ، وأيضًا يتمتع بثقة عالية يمنحها له الآخرون عليه أثناء المراسيم عمل لقمتين متماثلتين في الشكل والمحتوى ، إحداهما للعريس والأخرى للعروس ، ويؤكد لهما وجوب تقاسم الحياة مناصفة في السراء والضراء ، ويصون أحدهما الآخر ويحافظ على سمعته وكرامته.

٣- تحتوي كل لقمة بالإضافة إلى الخضر والفواكه على اللوز والجوز والسمسم والتمر والسمك وقطع من آلية الخروف إن توفرت، هذه المواد تعمل على تنشيط القابلية الحسية للزوجين، وتبث في روحيهما رغبة قوية للتقارب، أما منقوع التمر والعنب (الهمرا) الذي يشربانه؛ يهدئ من أعصابهما ويزيل عنهما القلق والتعب ويبث في نفسيهما الشجاعة الكافية للتقارب.

٤- كسر أول مشربة فخار (تنكه) على قطعة من الصلصال الموضوعة قرب بوابة الاندرونا هو لإحداث صوت صارخ يعلن أمام الحضور عن انتهاء حياة العزوبية دون رجعة، ويعلن أيضًا عن انكسار القيود التي وضعتها تلك الحياة، والتي استغلتها قوى الظلام للعبث بها، وهي أيضًا دعوة للحضور لكي يبتهلوا للحي العظيم من أجل غفران الخطايا والذنوب والحماقات التي ارتكبت بسبب تلك العزوبية.

٥- كسر المشربة الثانية أيضًا هو صوت صارخ يعلن عن التحام روحيهما بالرباط الزوجي، ويعلن أيضًا عن انكسار القيود التي تحرم اقتراب أحد الزوجين من الآخر، وأيضًا هو دعوة للحاضرين أن يبتهلوا للحي العظيم لكي يبارك العروسين في حياتهما الجديدة التي ولدت بعد هذا الارتباط المبارك.

بالإضافة إلى قدسية الرباط الزوجي فالدين المندائي يمنح أيضًا قدسية كبيرة للفراش الزوجي، إذ تباركه الملائكة مازال طاهرًا، وتلعنه إذا دنسته الخطيئة، ونحن لا نغالي في ذلك، فعلى هذه الفراش تنبذ كل الفوارق وتنكسر كل القيود التي حاكتها قوى الظلام، ففي لحظات التقارب بين الزوجين على هذا الفراش المبارك يتساوى الغني مع الفقير، والقوي مع الضعيف، والسيد مع العبد والمتغطرس مع الوديع، وتنكشف لكلا الزوجين أجمل وأهنأ لحظات السعادة، لذلك يجب ألا نستغرب أن نبينا يهيا يهانا مبارك اسمه قد حلف يومًا زوجته أنهر بالفراش الزوجي إذ قال لها: (أقسم عليك بالفراش الزوجي الذي اجتمعنا عليه؛ إذا رحلت من هذه الدنيا ما أنت فاعلة؟ أجابته أنهر لا أرتدي ملابس

جديدة حتى أتبعك، قال لها: ليس هذا صحيحًا، بل عندما يدخل عام ويخرج عام حتى تلبسي ملابس جديدة)... إذن فالفراش الزوجي يبقى شاهد حق على طهارة العلاقة الزوجية بين الزوجين مدى الحياة.

نعود من جديد إلى الرباط الزوجي، فنقول ما أشد قداسته ومتانته، فبواسطته تبقى روحا الزوجين مرتبطان في الدنيا والآخرة، إلا في حالتين؛ هما إذا ارتكب أحد الزوجين الزنا، وإذا خرج عن الدين المندائي، ففي كلا الخطيئتين يحذف اسمه من بيت الكمال، وينقطع اتصاله بهذا الرابط المقدس، لأنه دنس هذا الرباط وخان الثقة التي منحت له، وحنث بالقسم الذي قطعه على نفسه، يشبه ذلك انفصال قطعتي المعدن الملتحمتين إذا تآكلت منطقة الالتحام بسبب الصدأ؛ على الزوج الآخر الابتعاد فورًا عنه، وإلا يعتبر هو الآخر زانيًا، وفي هذه الحالة يعتبر الزواج ملغيًا، ويمكن للطرف الآخر وخاصة الرجل الارتباط من جديد دون الاخلال بقسم الزواج، أما المرأة فإنها ستعاني من النزولية لأنها أصبحت ثيب، ولكي ترفع عنها النزولية عليها وعلى زوجها الجديد أن يصطبغا ٣٦٠ صباغة.

أما في غير ذلك لا يبيح الدين المندائي الانفصال مطلقًا مهما تعددت الأسباب، خاصة إذا كان لهما أبناء، لأن على الزوجين التضحية من أجل الأبناء وتربيتهم بصورة صحيحة وأن ينالوا قسطًا من الحب والحنان وهم في كنف أبويهما، وذلك لأن هناك أواصر خفية تصل الأبناء بالرباط الزوجي وعن طريقها ينال الأبناء الحنان الروحي من قبل الأبوين، وانقطاع الرباط الزوجي يسبب سقوط الأبناء إلى جهة الأب أو إلى جهة الأم، وهو بحد ذاته ضياع للأبناء، أما إذا حدث فراق جسدي بسبب موت أحد الزوجين فهذا لا يسبب انقطاع الرابطة الزوجية بين روحيهما، فإذا تزوج الآخر أخل بقسمه وأصبح خاطئًا وهذا الخطأ يؤثر على المرأة الأرملة، وعقوبة ذلك ألا ترتقي الأم وأبناؤها الجدد إلى درجة الحلالي حتى الجيل الثالث كما قال نبينا يهيا يهانا: (الأرملة لا تكون عروسًا، أما إذا لم تكن أرملة فخطيئتها أكبر وتمتد نزوليتها حتى الجيل السابع أو قد

تتعداه إلى عدة أجيال أخرى، ويستثنى من ذلك الابن الذي يتوغل في مفاهيم الدين المندائي، ويؤدي الطقوس المندائية كاملة في أوقاتها المحددة، ويسخر نفسه لخدمة الدين عن حب وإيمان عميقين، فإنه يستطيع أن يرتقي إلى درجة الحلالي أو إلى درجة الترميذا كحد أعلى بعد رفع نزوليته، وذلك بصباغته ٣٦٠ صباغة من يوم أحد إلى يوم أحد، حتى ولو كان من الجيل الأول.

ويحق للرجل أن يتزوج دون أن يطلب الفراق الجسدي إذا كانت غايته طلبًا للأبناء دون نزول ديني، لأن غايته الرئيسية إنشاء جيل صالح، وبناء مجتمع، أما إذا كان الزواج لإشباع شهواته بالدرجة الأولى فهذا لا يبيحه الدين ويحمل الرجل خطيئة يحاسب عليها في دار الحساب.

وأخيرًا أيها المندائي الذي تعيش في النور، فمن أجل رباط زوجي مبارك ومتين عليك مباركته بالمزيد من الصلوات والتراتيل، يقرأها رجل الدين الذي يترأس المجلس، وهي موجودة في كتاب (القلستا) الذي بحوزته، ولا ضير في ذلك لو أنك أكرمت رجل الدين بسخاء، فالملائكة ستباركك وتبارك هذا الرباط الزوجي المتين، ولا تعر أهمية لوقت إجراء مراسيم الزواج مهما طالت... والحي العظيم يزكي كل الأعمال...

مراسيم الزواج المندائي (قابين اد شيشلام ربا) :

(اسعوا لزواج أبنائكم وبناتكم، وآمنوا بربكم) كنزا ربا م. م

الزواج المندائي من الطقوس المندائية التي لها مكانة عظيمة وقدسية كبيرة، ويطلق عليه في النصوص الدينية (الطقس المحبوب) فمن وصف لأحد النصوص الدينية أن عوالم النور تبتهج وتفرح مع كل عقد زواج لما لهذا الطقس من أهمية كبيرة.

يسمى الزواج المندائي: قابين اد شيشلام ربا، وذلك لأن شيشلام ربا يمثل رجل الدين والزواج المثالي في عالم النور وهو يمثل العنصر الذكري الذي بزواجه

واتحاده بالعنصر الأنثوي (ازلات ربتي) بدأ التكوين واستمر التكاثر ، وأن الزواج المندائي هو مثال لهذا الاتحاد ، وهذا الرباط المقدس ، وبالرغم من أن هذا الموضوع قد طرق سابقًا وفي عدة مجالات ؛ إلا أن أحد لم يتطرق إليه بالتفصيل ، وهنا أود أن أتطرق إليه بشيء من التفصيل لتعميم الفائدة للقارئين الكرام ، ومن أجل فهم واستيعاب أكثر لما يدور في هذا الطقس العظيم والمهم في حياتنا.

في البداية يصطبغ العريس والعروس وتعمل الاندرونا (بيت القصب) ، ويجتمع رجال الدين ويتم التأكد من ملابس العريس الدينية ، (الرستة) ، توضع (السكين دولا) في يد العريس ، ويمسك بنصيفته رجل الدين الذي يقوم بعقد الزواج ، توضع ملابس العروسين الاعتيادية في سلتين يحملهما اثنان من الأطفال الذكور ويذهبان بهما إلى غرفة العروس مع العريس ورجل الدين العاقد ، في الوقت الذي تكون فيه العروس قد ارتدت الملابس الدينية (الرستة) ، وجلست داخل (الكلة) المنصوبة في الغرفة ، لحجبها عن أعين الناظرين.

يعود رجل الدين العاقد مع العريس الذي يكون عن يساره إلى الاندرونا ويعطي الأمر إلى أحد رجال الدين المشاركين في عقد الزواج أن يذهب إلى غرفة العروس ويعطيها محبسين ذا فصين (أحمر وأخضر) وعنب وجوز ، فيذهب رجل الدين هذا إلى العروس ويتفقد ملابسها الدينية ، ويطمش يديها بالماء لتأكل وتشرب ، ويقرأ على رأسها بعض البوث الدينية ، ثم يعود إلى الاندرونا ويقول لرجل الدين العاقد (إن كل شيء قد تمَّ على أحسن ما يرام).

يدخل هو والآخرون إلى الاندرونا عند رجل الدين العاقد والعريس ، حيث يقول رجل الدين العاقد للجميع : (لقد قمنا بعملنا ووضعنا العروس في مكانها وتفقدنا ملابسها وطمشنا يديها وألبسناها المحبسين ؛ الأحمر في اليمين والأخضر في اليسار ، وأعطيناها أكلاً وشربًا وقرأنا على رأسها البوث الدينية بكل اهتمام واحتراس) ، فيرد عليه الجميع (استمر مغفورة خطاياك).

ويكون هناك شخص مندائي يحمل الجرة إشارة إلى طرد الشر ، وبدء مراسيم كسر الجرة ، ثم يدخلون إلى الاندرونا ويجلسون حول الطريانة الكبيرة التي توضع فيها تسعة أسرار (تسعة أنواع من الطعام المقدس) ، ثم يأتون بثماني طرايين أصغر من الكبيرة ويوضع فيها ما وضع في الطريانة الكبيرة، ويوضع على كل طريانة ثلاثة أرغفة من الخبز ، ويكون هناك رغيفان توضع بين الطريانة الكبيرة والتي أمامها وتسمى (كوفاومشاط) ، وتعمل الهمر رمز الإخصاب التي يجب أن تكون حديثة وغير مختمرة ، وذلك بوضع حبات من العنب في الماء الذي في القنينة، وتوضع على الطريانة الكبيرة، ثم يقول رجل الدين العاقد للجميع ، يا إخواني رجال الدين والمندائيين المجتمعين هنا بتفويضكم أعمل ، فيرد عليه الجميع (استمر مغفورة خطاياك) ، فيأتي أبو العروس (رجل حلالي يقوم بدور أبي العروس) الذي يلبس الرستة أيضًا ، ويقف أمامهم ويقول له رجل الدين العاقد (يا أخي فلان بن فلان) فيرد عليه الأب (أنا أجيبك) فيقول رجل الدين جوابك يا هذا للحي ولمندادهيي هذه المائدة والطعام المقدس لمن؟، فيرد الأب: هذه المائدة والطعام المقدس هي لفلانة بنت فلان (العروس التي أعطيها إلى فلان بن فلان) (العريس) ، بزواج العهد ، ثم يعيد رجل الدين نفس السؤال على الأب ، هذه المائدة والطعام هي لفلانة بنت فلان ابنتي التي أعطيها لفلان بن فلان بزواج العهد ، فيقف العريس ويضع يديه بيد الأب فيقول له رجل الدين يا أخي فلان بن فلان ، فيرد عليه العريس أنا أجيبك ، فيقول رجل الدين (جوابك هذا للحي ومندادهيي) ، ويرد العريس بعد رجل الدين ، أنا أقبل فلانة بنت فلان زوجة لي بزواج العهد ، فيقول له رجل الدين (هذا العهد سوف يكون شاهدًا عليك ، وسيكون الحي والملكي والأثري وكذلك رجال الدين والمندائيون المجتمعون هنا شهود عليك ألا تحيد عن عهدك وألا تغير كلمتك وألا تتكل بها ولا تخونها ، وأن تعتني بها وأن تعيش معها بسلام كما أمرك ربك فيقول الأب نحن أيضًا سنتعايش معه بسلام كما أمرنا ربنا ، فيقبل العريس والأب أيديهم ويتصافحون هكذا ثلاث مرات ، ثم يقول

رجل الدين للعريس زواج فلانة بنت فلان يكون لك بألف من القطع النقدية، ودينار من الذهب وفضية من الزعفران، ومجموعة من الجواهر بشهادة هذا الجمع من رجال الدين المندائيين، فيكون جميلاً ومقبولاً، ثم يجلس العريس ويطمش يده مع رجل الدين العاقد ويقطع الخبز حيث يقولون (اسم الحي واسم منداهيي مذكوران عليك أيها الطعام المقدس)... ثم تعمل لقمة مما هو موجود في الطريانة وتعطى للعريس ليأكل وأخرى يأخذها الأب بيمينه ويذهب إلى العروس فيطمش يدها ويعطيها لكي تأكل، ويقول لها (كلي ولا تأكلي من غيره) ثم يوزع باقي الطعام على الموجودين ليأكلوا، ثم توضع على الطريانة ثلاث فطائر وثلاث قطع فضية نقدية توهب لأم العروس جزاء تربيتها للعروس.

حكمة الزواج الشرعي في الدين الصابئي[1]:

بالرجوع إلى النصوص الدينية الأساسية التي اعتمدت عليها الديانة المندائية؛ هي وجوب الزواج على كل فرد مندائي سواء كان ذكرًا أو أنثى، ولأن هذه الديانة ترفض أساسًا حالة العزوبية وتمقتها، وعليه فإن الزواج الشرعي هو تنفيذ لأمره (جل جلاله) وكونه رابطة روحية بين الزوج والزوجة، فهو ركن من أركان الدين. وقد ورد في كتاب الكنزا ربا (الكنز العظيم) أن الحي الأزلي (هيي ربي) أمر الملاك (منداهيي) أو عارف الحياة أن يمنح غرسة لآدم في الحياة، وأن يقيم له عرسًا ويعلمه ليتخذ له امرأة تكون شريكته (صوثا)، ليتكاثر نسله، وان يقيم له بناء (اندرونا) وهي بمثابة مجلس عقد الزواج لتقام تحته طقوس ومراسيم الزواج الشرعي (العرس) ومن الحكمة في الزواج هي أن كل فرد مندائي سوي ينشد العزة والمتعة المشروعة في الحياة الدنيا، كما ينشد

١- الأستاذ فرحان عربي الخميسي، وهو شخصية قانونية معروفة وله مقالات مهمة في الشرع المندائي من المفيد الإطلاع عليها لزيادة المعرفة.

خلود اسمه من بعده وبقاء ذكره بعد مماته، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الزواج وثمراته إنجاب البنات والبنين.

أما حكمة الزواج الثالثة فهي الطبع والعادة، إذ أن الحي العظيم (هيي ربي) أوجد الغريزة الجنسية لدى البشر وجعلها عنصر من عناصر تكوينه النفسي والسيكولوجي، فلا يمكن تجاهلها، فخلاف ذلك لا يعدو أن يكون العازف عنها متزمتاً وهي حالة غير مستحبة في الدين المندائي، وأن الزواج الشرعي هو الضمان المنسجم مع السلوك البشري السوي.

ويكتمل الزواج ويصل غايته المثلى في الإنجاب، حيث فرضت الديانة المندائية عقوبات دينية ودنيوية على الذين عزفوا عن الزواج أو أنهم تزوجوا ولم ينجبوا وشملت هذه العقوبات حتى رجال الدين، حيث لا يرتقي (الترميذا) إلى درجة دينية أعلى (الكنزافرا) إلا إذا تزوج وأنجب ذرية لتستمر بهم الحياة وتتوطد العقيدة ويتعمق الإيمان المندائي.

النسب :

١- إن موضوع النسب في الديانة المندائية يتعلق بالجانب الديني بشكل خاص، حيث ينسب المولد إلى أمه وليس إلى أبيه، ويمنح الاسم الديني (الملواشة) مقروناً باسم الأم، فيقال فلان بن فلانة للذكر، وفلانة بنت فلانة للأنثى، وهناك تفسيران بخصوص هذا الموضوع، الأول هو تقدير للأم واحترام لها انطلاقًا من نظرة الشريعة المندائية إلى المرأة كما جاء وصفها في الكنزا ربا (الكتاب المقدس) والذي أوردته في مستهل هذا البحث، أما الرأي الآخر وهو رأي فلسفي حيث يقول إن الوليد هذا هو قطعًا من تلك المرأة وليس باليقين من هذا الرجل. إلا أنني أعتقد أن هذا الأمر كما يخبرنا التاريخ جاء من أن دور المرأة الاقتصادي في قديم الزمان كان دورًا مركزيًا في الأسرة حيث كانت تتمتع بالنفوذ السلطوي آنذاك دون الرجل، وقد ورثته الديانة المندائية، ولا يزال إلى يومنا هذا، كما هو الحال في قبائل (الطوارق) في شمال أفريقيا حتى الآن حيث تلعب المرأة دورها الرئيسي بين باقي أفراد الأسرة الواحدة.

٢- إن الديانة الصابئية المندائية لا تقبل انتماء من لم يكن مندائيًا بالولادة ويحمل الاسم الديني المشتق من اسم أمه الديني (الملواشة) وأن المولود يرث المركز الديني للأب والأم معًا كونه (حلاليًا) أو لا.

٣- استنتاجًا لما أوردته أعلاه فإن الديانة المندائية لا تقبل مبدأ التبني إطلاقًا.

- تعقيب:

ويذكر أن سبب انتساب الأولاد لاسم الأم الديني؛ لأن الأم رحم طاهر جاءت من عالم الحق حين زوج آدم أولاده وبناته أول مرة، وقد شرحنا هذا الموضوع بالتفصيل (كيف زوج آدم أولاده وبناته)..

* * *

والآن لنتعرف على الأعياد المندائية من قبل رجال الدين، وعدد من الباحثين المهمين ، لتكون أمامنا الصورة واضحة عن العيد الكبير (دهواربا) والعيد صغير (دهواهنينا) والبرونايا (البنجة)، وغيرها من الأعياد المندائية المهمة!

الكرصة ومغزاها[1]:

عندما يأتي اليوم الأخير من السنة المندائية (كنشي وزهلي) والذي يعني الاجتماع والتطهير ، وهو يقع في عصرنا هذا الثلث الأخير من شهر تموز الميلادي ، وكان سابقًا في الأول من شباط (أول ستوه) ، تبدأ إجراءات وتحضيرات ليست مألوفة من قبل المحيطين بأبناء هذه الطائفة رغم أن الجميع يعيشون مع بعضهم البعض في وحدة المجتمع العراقي، فترى منهم ردود فعل متباينة ما بين ناقد غير متفهم وبين متعاون أو حيادي ، وتبقى الكرصة لغز جدير بالاحترام والتوضيح، فهي بالمفهوم الاجتماعي تأتي من معنى الاحتجاز أو الاعتكاف وهو مصطلح عربي جاء من اعتكاف المندائيين في بيوتهم ٣٦ ساعة ، وتبدأ من غروب شمس نهاية السنة المندائية (كنشي وزهلي) حتى شروق الشمس لليوم الثاني من السنة المندائية الجديدة ، أي يوم بليلتين أو بالمفهوم المندائي فإن (دهفا ربا) العيد الكبير للمندائيين والتي تحمل طابعًا دنيويًا واجتماعيًا تعني الحدث الكبير ، حيث ترد كلمة (دهفا) مع كل المناسبات المندائية الرئيسية ك (دهفا اد دايما، دهفا هنينا... الخ) دلالة على أحداث ربانية تشكل بمجموعها حلقات التكوين والخليقة ، وجاءت كلمة (ربا) تحديدًا مع هذه المناسبة بمعنى الكبير والعظيم المنسوب إلى الرب العظيم... فما هو هذا الحدث الرباني المهم ؟ ولماذا هذا الاعتكاف الذي هو سمة ذلك الحدث القديم جدًا ، ولماذا يعتبر عيد للمندائيين ؟.

---

١ ـ للترميذا خلدون ماجد الناصح مقالات وأفكار مهمة من المفيد الإطلاع عليها.

سنحاول الإجابة باقتضاب عن طريق الاستدلال بالنصوص الدينية في هذا الصدد، إذ جاء في ديوان (ترسر وألف شيالة- ألف واثنى عشر سؤالاً)... من يحفظ نفسه خلال الستة والثلاثين ساعة سيكون منسوبًا إليَّ أنا أبو الأثري، وفي النص الآخر من نفس الديوان يجيب بماذا يحفظ الإنسان نفسه؟ إذ يقول كل من يغمس إصبعه في الماء الجاري خلال الستة والثلاثين ساعة سوف يلعن بلعنة (شيشلام ربا)...

إذن أصبح واضحًا الآن بأن الحدث المقصود والمحذور كانت له (يردني) الأنهار الجارية الوسط الأساسي الذي كان فيه ذلك الحدث فكيف أن يردني ذات الماء الحي المزكي الطاهر المطهر والذي تستمد منه نشماثا الأنفس صبغتها النورانية وحياتها الخالدة، كيف يكون الاتصال به في تلك الساعات سببًا للتدنيس واللعنة من الخالق مسبح اسمه، إن في ذلك جدلية تعود إلى الصراع الأزلي بين النور والظلام، وأن محصلته النهائية هي الحياة الدنيوية بكل أنواعها، ولكن هذا جواب عام والمطلوب هو معرفة السبب الحقيقي الذي هو الحدث الكبير الذي نتحدث عنه.

دعونا نأخذ نصًا آخر وهو الذي يتلى في اليوم السادس والسابع بعد (الكرصة)، بما يطلق عليه (عيد شوشيان)، حيث يكون واجبًا على كل ترميذا أن يصنع الأكاليل (وتجدل من نبات الغرب)، وتعلق على أبواب بيوت المندائيين للحماية والتبرك بنعم الخالق – يطرح هذا النص بإشارة مباشرة ومن زواية أخرى حقيقة ما حدث في اليردني إذ يقول : (أنهر كوفني بكوميا واتقييم كبيري بيردنا)، أي بمعنى أنارت سلالات الحياة داخل الماء وتجسدت المخلوقات في الماء الجاري.

وهذه دلالة واضحة بأن بوادر الحياة الأولى في هذه العالم بدأت في الماء على أثر الحدث الكبير المتمثل بتكثيف الأرض وتصلبها بعدما كانت على هيئة غازية وسائلة، وقد جاء هذا الربط بين حدث التصلب للأرض ونشوء الحياة

الدنيوية بأولى صورها استنتاجًا من نصوص (كنزا ربا) التي تطرح موضوع الخليقة المادية بتجبيل الأرض وما حولها من قبل ملكًا أبثاهيل (م) بأمر الخالق (مسبح اسمه) وبمساعدة أبائه الملائكة الكبار، ومن ثم قيامه بتثبيت الجبال وشق البحار والأنهار وخلق الأسماك والأثمار والمخلوقات الأخرى، علاوة على أن بداية السنة المندائية بيوم الكرصة دلالة على بداية الخليقة المادية للأرض وما حولها والتي تبدأ بالستة وثلاثين ساعة وتنتهي في اليوم السابع وهو (عيد شوشيان) كما مرَّ بنا.

لكن ما الذي يدعونا إلى الاعتكاف وتجنب الماء الجاري ومن يتعامل معه خلال ساعات الكرصة هذه؟ لقد ورد في سيدرا اد نشماثا (كتاب الأنفس) وفي بوثة قشش (بيان العصور) ما معناه: وهكذا لم يكن للأرض الصلبة وجود ولا يوجد عليها مساكن، بل يوجد بداخلها ماء أسود (ميا سياوي)، ومنها ومن هناك تجبلت هذه المياه وخرج منها الشر (الروها)، ومنها آلاف آلاف الأسرار وملايين ملايين الشياطين.

وهذا يشير إلى أن عملية تصلب الأرض قد رافقها انبعاث الأسرار الباطلة والشياطين الضارة، ويذكرنا هذا بأحاديث أهلنا في طفولتنا عندما تأتي الكرصة حيث يحذروننا من خطر (الروها)، والتي هي الروح السفلى التي أعطت للحياة الدنيوية مضمونها المادي، وأصبح حري بنا أن نحذر ونتوقى من الأثر الباطل لهذه الأسرار السائدة في تلك المناسبة، هذا من جهة، أما من جهة أخرى وهذا هو الأهم فإننا قد علمنا من خلال النص السابق حول خلق سلالات الحياة في الماء بأن هذا قد تمَّ واكتمل في اليوم السادس والسابع، مبتدءًا مع حدث التصلب حيث أن سريان العناصر الأولية لخلق الأجناس الدموية في المياه الجارية خلال هذه الساعات هو من أسرار الظلام المشار إليها، وأن هذا هو السبب الرئيسي الذي يجعل من الماء وكل الذين يتعاملون معه خلال الستة وثلاثين ساعة شيء مدنس لاتصاله بأسرار الظلام وانعكاسها عليه بأثرها الباطل.

ومن هذا النص نستطيع أن نفسر وجود المبطلات التي تشير إلى بعث هذه العناصر الدموية في الماء خلال ستة وثلاثين ساعة (الكرصة) حيث تتوزع ستة وثلاثون يومًا مبطلاً ضمن ثلاثمائة وستين يومًا المكونة للسنة المندائية.

وقبل أن أنهي الموضوع أود أن أشير إلى أن هذا الموضوع هو من أصعب المواضيع المندائية التي تخص عملية الخليقة المادية وإذا أردنا أن نكتشف المزيد لتوضيح الصورة فيتطلب ذلك المزيد من الدراسة والبحث والتقصي مقارنة لما توصل إليه العلم الحديث حول هذا الموضوع.

بقي أن نقول ألا يستحق ذلك الحدث الرباني الذي تكون بموجبه العالم المادي وكل ما فيه أن نحتفل ونحتفي به مجددين للخالق العظيم ولملائكته وأثرييه ولرجال الدين العهد الحق بأن نصون الأمانة التي أودعها في أجسادنا وهي (النفس)، وأن نجنبها كل ما يدنس طهارتها ويلوث نقاءها لكي نظفر ببركته والدار المتقنة.

الكراص أو العيد الكبير وعيد شوشيان (ذكرى تجلي الخليقة الأرضية) :

وقد كتب د. غسان صباح النصار في مقال له: مع غروب شمس اليوم الأخير من السنة المندائية تبدأ مراسيم الاجتماع العائلي، لنحتفل ونعيد ذكرى الخليق الأرضية، قرابة ال (٣٦ ساعة) تتجمع خلالها العائلة المندائية وتتبارك بقراءة الأدعية والتسابيح المندائية في كتبنا المقدسة، ويقوم المندائي بالقيام بتخزين المياه وكل الأطعمة والمشروبات في داخل منزله، ولا يختلط بالمحيط الخارجي ولا يمس اليودنا خلال الكراص، ويمثل الكراص (الكرصة) عيد رأس السنة المندائية، وهناك فكرتين لتفسير الكراص: الأولى تعود إلى تصليب الأرض وتهيأتها لبداية الحياة الأرضية بأمر الحي العظيم، بعدما كانت مياه آسنة وجزء من عالم الظلام، وهنا يحاول الملاك أبثاهيل المكلف بهذه العملية أن يقوم بها،

ولكنه يعجز عن تصليب الأرض فيصعد للسماء ليطلب من أبيه أباثر العظيم المساعدة، فيمنح السر من عوالم النور، وبالنداءات الثلاثة التي وهبها إياه الحي العظيم يعود ويطلق النداءات.

النداء الأول بصيحتين : في الأولى : تتكثف المياه (وهنا هو اليوم الأول من الكرصة والذي يبدأ مع غروب الشمس)، والذي مازال الماء فيه آسنًا ولا يسمح لنا بلمسه ، وفي الثانية : تصير اليابسة ، وهنا يكون اليوم الأول من عمر الأرض أي (١/١)، وهو اليوم الثاني من الكرصة، ولا يسمح لنا أن نمس الماء لأن المياه الجارية لم تتدفق بعد، حيث تتدفق المياه الجارية بالنداء الثاني للملاك أبثاهيل مبارك اسمه.

النداء الثاني: تترقرق المياه في الأرض (تيبل) أو إن نسبة اليردنا التي باركت المياه الأرضية قد اكتملت، لذلك يكون اليوم الثاني من السنة المندائية هو يوم الخروج من الكراص وملامسة الماء الجاري، لأن قبل ذلك كان الماء آسنًا ولا يجب لمسه، وطبعًا عملية التطهير هذه صاحبها هيجان أو طرد المخلوقات المظلمة التي كانت تستوطن المياه الآسنة ، (وكما تنص عليه بوثة قشش المباركة).

وبالنداء الثالث : تُخلق الحياة والأطياب والأطيار ، وبعدها يقع أبثاهيل تحت وسوسة أبناء الظلام وينادي بنداءات أربعة أخرى بتأثير الظلام وينتج النقص، وهذا هو تفسير أيام المبطلات التي تواكب هذه المناسبة حيث تتعاظم قدرة الظلام ومخلوقاته في هذه الأيام، حتى يشتد خطر الظلام في اليومين السادس والسابع، ليكونا يومين مبطلين ثقيلين... (راجع كنزا ربا- اليمين طبعة بغداد ص ٢٩٠/ تسبيح الخلق).

أما الفكرة الثانية وهي الأرجح؛ إن الكرصة تعود لحادثة خلق آدم ، وهنا يلتف عالم الظلام ومخلوقاته على أبثاهيل ويقنعه بالاشتراك معه في خلق آدم ، فيوافق أبثاهيل ثم يعجز عن إتمام مهمته، ولا ينتصب آدم على قدميه كما الحي

شاء، فيصعد أبثاهيل للسماء ويُعطي النفس (نشمثا) ملفوفة بالنور ومحروسة من قبل ملاكين حارسين ويعود بها للأرض، وحين تحين الساعة أن تدخل النشمثا (النفس) في الجسد المطروح، يأخذها الملاك العظيم منداهيي بيده العظيمة ويرميها في الجسد ليتم خلق آدم وينتصب واقفًا على قدميه.

(حين أقام أبثاهيل آدم على قدميه، كنت أنا منداهيي من أنهضه... ولحظة وضع يده عليه، أنا الذي جعلته يتنفس الحياة) كنزا ربا والنفس هي النفحة التي جاءت من مخزن الأسرار في عوالم النور السامية لتمثل الفكر والعقل وتحرك فيه الروح، وممكن أن تكون هذه العملية قد بدأت مع غروب اليوم بعد أن سبقتها مراسيم وطقوس خاصة واستعدادات في النهار، وهذا قد يكون تفسيرًا لطقوس الكنشي وزهلي التي تقام صبيحة اليوم الأول للكرصة استعدادًا لبداية الكراص مساءً (وهنا يبدأ اليوم الأول من الكرصة).

وفي صبيحة اليوم التالي يكتمل خلق آدم ، وهنا يكون اليوم الأول من عمر الإنسان والبشرية وحساب الزمن، أي (١/١) رأس السنة المندائية، ويعتبر هذا اليوم كرصة أيضًا، ولا يسمح لنا أن نمس الماء حتى اليوم الثاني (١/٢)، لأن الرسول منداهيي يترك آدم لحظة تكوينه ليعرج إلى السماء وليصاحب (إدكاس زيوا) والذي يُعد الأب الروحي أو السر الخفي للنشمثا التي هبطت للجسد المسجي لتحرره من علته الوخيمة، وهنا يبقى آدم محاصرًا (طيلة ٣٦ ساعة) وحيدًا تحت وطأة الظلام والخوف من المخلوقات الشريرة التي كانت تريد أن تجزأ النشمثا ، وحينها يعود الملاك المبارك (منداهيي) في اليوم الثاني من السنة الجديدة.

أما عدم جواز مس الماء فإن هناك نص يمكننا أن نتأمل فيه لنجد منه إشارة أو تفسير ، فإن النص يتحدث إدكاس زيوا وكيف رجع إلى موطنه وقد باركته الحياة العظمى وكيف يوكل الملاك منداهيي ، مبارك اسمه ، ملائكة المياه الجارية حراسًا له (أي بعد اكتمال خلق آدم بغرا) ، وكما قلنا فإن سر النشمثا

سيبقى مرتبطًا بآدم كسيا، فلذلك لا يمكن لنفوسنا في الأرض أن تمس الماء قبل ذلك، وهذا تفسير عدم ملامسة الماء الجاري قبل اليوم الثاني من السنة.

(وامتلأت عظامه بالمخ ، ونطقت فيه إشعاعية الحي ، ففتح عينيه عندها عرج إدكاس زيوا إلى موطنه ، وأوكلت به ملائكة المياه الجارية) كنزا ربا... وبعد خلق آدم يرجع منداديهي (م.أ) – أي في اليوم الثاني من السنة المندائية، ليجد الشر والظلام يحاصران النشمثا المسكينة الوحيدة (وهذا هو تفسير المبطلات المزامنة لهذه الأيام).

وتعاني النفس بعد نزولها من علياء عوالم النور للجسد الطين، وهذا ما ترويه لنا نصوص كنزا ربا المباركة، ولكنه حين يرجع لتيبل حاملاً حراسته وبشائر العيد، يدحر الظلام ويضرب الروها والتي تتكفئ على وجهها مدحورة، ولكن آدم مازال يشعر بالوحدة والقلق من المخلوقات الناقصة والمتوحشة وهواجس وسيطرة السبعة والاثني عشر، وتزداد معاناة آدم ووحدته في يومي السادس والسابع من السنة المندائية، ولا سيما إن ديوان ترسر وألف شيالة يشير إلى إن عوالم الظلام تحتفل في هذه الأيام (المبطلة الثقيلة) بميلاد سيد الظلام أور، فيشتد بأس الظلام والأشرار على آدم حتى يأتيه العون مع لقائه الأول بالملاك المخلص (منداديهي) مرة أخرى في ليلة ٦-٧/ ١ ليساعد آدم ويهبه المندائية (المعرفة)، لتكون هي الحراسة التي يحتاجها الإنسان ليدحر الظلام عنه، فالدراسة والتعلم والبحث عن الطريق لعالم الأنوار، كان هو المندائية، وكان منداديهي، تبارك اسمه، حريصًا أن يهبها لآدم بنفسه، كما أدخل النشمثا بيده الكريمة إلى جسد آدم.

وهنا يبدأ تعليم آدم وهبوط الكنز الإلهي العظيم (المعرفة) لتكون سلاحًا لآدم وبنيه، وأول كلمات النور كانت افتتاحية الكنزا ربا المبارك، إذ يخاطب آدم بالمعرفة بادئًا بتعريف رأس المعرفة، الحي العظيم، فيقول: بسم الحي العظيم: (هو الحي العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم، هو الأزلي القديم، الغريب عن أكوان النور) كنزا ربا.

وممكن أن أتجرأ هنا أكثر وأقول إنه يوم بداية نزول تعاليم كتابنا المبارك كنزا ربا ، سلاحًا وخلاصًا ورحمة للعالم الجديد... وهذا هو تفسير عيد شوشيان (عيد إحداث التغيير).

وإن وضع إكليل الغرب في عيد شوشيان (ليلة ٦-٧ مندائي) هو إشارة لقدوم المعرفة والمتمثلة برسول الحي مندادهيي (ولذلك تجدنا نضع الإكليل تحت عمائمنا في الصباغة ، دلالة على تتويج المصطبغ بالمعرفة (المندائية) التي يرفعها على رأسه ، فإكليل الغرب هنا يرمز إلى تقبلنا وإيماننا بالمندائية وإعلانًا للقادم مندادهيي (والذي رحل إلى عالمه النوراني بعد أن علم آدم المندائية ووعد بأنه سيكون قريبًا دومًا من أبنائه) ، بأننا من حصته ، لذا فجاز لنا أن نسمي هذه الليلة المباركة (عيد شوشيان ٦-٧) بعيد قدوم المعرفة...

والمعرفة الأولى هي (كنزا ربا) المبارك ، لذلك يسمي البعض هذه الليلة بليلة القدر المندائية (تأثرًا بالمجتمع المحيط) ، وهي ليلة مباركة يقضيها المندائيون حتى الصباح بقراءة الأدعية والتسابيح المباركة ، لأنه يوم تلبية الدعاء وقبول الرجاء لكل قلب وضمير وفكر طاهر.

وتنتهي المبطلات بجلاء المعرفة كاملة لآدم ، فيندحر الظلام باكتمال التعاليم وسيادة العقل ، وهنا تكتمل المبطلات ليبدأ يوم جديد وعصر جديد وحياة جديدة ، راجع النص في كنزا ربا – اليمين – طبعة بغداد ص٧٠.

لذا فإن الفكرتين أو التفسيرين السابقين يتفقان على كون العيد الكبير (دهوا ربا) هو ذكرى تجلي الخليقة الأرضية وازدهار الحياة الدنيا ، وهذا ما ترمز له (الطرايين) التي تمثل رموز وطيبات الحياة ، وأخيرًا أنهي تفسيري المتواضع والمستند إلى كتاب المعرفة (كنزا ربا) بما تنتهي به أغلب نصوصنا المندائية (طوبى للرجل مندادهيي الذي مر عابرًا إلى هنا) كل عام مندائي وأنتم بخير وثبات في الإيمان والمعرفة.

* * *

وهذه مقالة قيمة لعزيز سباهي ساجت عن مفهوم العيد المندائي الكبير (دهوا ربا) عيد الكرصة[1]... العيد الذي ينعزل فيه الصابئة المندائيون عن الناس في بيوتهم لمدة ٣٦ ساعة، لأسباب اختلفت الآراء في تفسيرها؛ كراص مبارك، وعيد مجيد، وسنة مندائية جديدة، وكل عام وأنتم بألف خير وسلامة... إليكم هذا الدعاء بمناسبة الكراص السعيد: (باسم الحي العظيم، اللهم هبنا بعض من نورك، وأعطنا بعض من ضيائك، سندخل بنورك ونخرج بضيائك، وننهض باسمك ونبقى أقوياء بصفتك الصادقة، والحي المزكي (سيدرا اد نشماثة)...

مفهوم الكراص المندائي :

لقد تطورت قصص الإسراء والمعراج عبر الأجيال، ونمت نموًا واسعًا وتدرجت حسب السلم التاريخي لها، متكاملة في المعنى والإطار، وتحولت بمرور الوقت إلى رؤيا رمزية لدلالات فلسفية وسياسية ودينية وحضارية، واتخذت طابعها الثقافي في التأثير والتأثر في المجتمعات على مر القرون والعصور كما هي الحكاية والأسطورة، وقد ساعدت نزعة الهضم والاستيعاب التي رافقت نزعة الكتابة والتأليف في وضعها بصيغ جديدة، من مصادرها المختلفة في التراث الرافديني الخالد كأور وبابل ونينوي وماري من حضارات الشرق القديم، والحضارة الفرعونية في مصر السفلى – ممفيس ومصر العليا

---

١ المصادر : الكتاب المقدس الكنزا ربا الكتاب الثامن – الشيخ ستار جبار حلو "التربية الدينية المندائية"- نذير العظمة "قراءة ثانية للتراث"- الليدي دراور "الصابئة المندائيون الكتاب الأول"- عبد الفتاح الزهيري "الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين"- صباح نجرس شاكر "مفاهيم وتعاليم مندائية"- نيقولا سيوفي "الصابئة.. عقائدهم وتقاليدهم"- س. كندوز ترجمة الدكتور سعدي السعدي "معرفة الحياة"- محمد الجزائري "المندائيون الصابئة"- أحمد غسان سبانو "هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة"- لويس مينار "هرمس مـ ثلث العظمة أو النبي إدريس"- عبود قره "عالم التنجيم.. أسراره وأوهامه"- سليم برنجي "الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين"- غضبان رومي عكله الناشي "الصابئة.. بحث اجتماعي دينيّ عن الصابئة"- عبد الرازق الحسني "الصابئون في حاضرهم وماضيهم" ط٧- ناجية غافل المراني "مفاهيم صابئة مندائية "تاريخ، دين، لغة"- عبد الحميد أفندي بن بكر أفندي عبادة "مندائي أو الصابئة الأقدمون"- محمد عمر حمادة "تاريخ الصابئة المندائيين"- الترميذا خلدونـ ماجد "الكرصة ومغزاها"- مجيد جابك "معنى الكرصة لغويًا".

– طيبة ، والفينيقية والآرامية ومن أمجاد الرومان والفرس السياسية ومن منجزات أثينا وروما العملية والفلسفية ، استوعبت عنها الأفكار في المعتقدات والديانات القديمة ، الناصورائية (الصابئية – المندائية) ، اليهودية ، المسيحية ، الإسلام ، الهندوسية ، الزرادشتية ، البوذية ، السيخية ، الجانتية ، الإيزيدية وغيرها... كذلك في البُدع الغربية الحديثة ، عن مفهوم وحدة الخالق وعن الأثريون الملائكة والارتباط الفلسفي والروحي بينهم وباختلاف المقياس الزمني لكل منهم.

هذه الأنواع كلها ينتظمها مفهوم التعدد للأثر الأدبي الواحد أو القصة الواحدة، ويعطي خصائصها الواضحة لهذا الارتباط، كما هو الملاحظ في الأدب العربي قبل الإسلام في الجزيرة العربية، المعلقات السبعة أو قصص عنترة أو ملحمة جلجاميش أو زيوا سدرا أو ملحمة الطوفان في أقدم صورها، أو في الروايات العبرية عن أنبياء بني إسرائيل والإنجيلية عن المسيح، وفي روايات أمية بن أبي الصلت الحنفي في الطائف والمتصوفة مثل البسطامي وابن عربي في معراجه (باب العقل الأهبة إلى الإسراء) ، وأبي العلاء المعري في رسالة الغفران ، فريد الدين العطار في أدب الرحلة الصوفية ، و(ثورة في الجحيم) للشاعر جميل صدقي الزهاوي ، والشاعر معروف عبد الغني الرصافي في كتابه (الشخصية المحمدية) ، وفي كتابات عصر النهضة الأوروبية والكوميديا الإلهية للشاعر دانتي اليجيري، ومعراج الشاهنامة الفارسية للشاعر فردوسي.

إن تعدد الروايات لا ينفي وحدة النموذج وأصالته في المعايير الإبداعية للخلق الأدبي ، كما أنه لا ينفي التفرد والتميز لكل صورة، أو رواية أو لجانب من جوانبها، والتي دخلت إليها عن طريق التصوف والفلكلور الشعبي، كما دخلت عن طريق التراث الديني الحي الذي تناقلته الأجيال كابرًا عن كابر ، وكما هي عند النُسَّاخ والشعراء.

إن صور وقصص الإسراء والمعراج إنما تستمد عناصرها من الأحاديث والمعتقدات الشعبية والدينية المتوارثة وعن الملائكة والمخلوقات النورانية وصور الجنة والجحيم والنعيم ومحطاته المتعددة ، كما في وصف العرش والملائكة الصالحين أي الأرواح الخيرة ، والشيطان وأتباعه أي الأرواح الشريرة النابعة عن الخيال الشعبي والتي ترجع بالأساس إلى أصول سامية ومندائية قديمة قبل أن تنهل منها المعتقدات اللاحقة.

ومؤثرات المعراج والإسراء لم تقتصر على الآداب التركية والفارسية والأوروبية بل تعدت ذلك إلى أشكال التعبير الأخرى كالخط والرسم والأيقونات والمنمنمات الطقسية الأخرى ، التي لها بنيتها المعمارية والرمزية ودلالاتها الروحية ومصاحباتها الفكرية والحضارية، وعلى أهمية هذا الأثر لا من الناحية الدينية والروحية فحسب ، بل من الناحية الجمالية والفنية كما في رسومات ليوناردو دافنشي وغيره من رواد عصر النهضة الأوروبي.

يمتاز الأسراء والمعراج من حيث الأسلوب بالخصائص التالية : الرمز ، التصوير الفني ، البناء المعماري ، فالصوفيون يميلون إلى الرمز ، أما الفولكلوريون فأميل إلى الوصف والتصوير والمنحوتات ، أما البناء القصصي حيث يختلف من حيث الخطط العامة إلا أن معماريتها تمتاز بخواص أدب الرحلات كالأوديسة وأوديب والإلياذة لهوميروس ، وقبلها ملحمة جلجاميش وعشتار ، وهذه نراها في قصص ألف ليلة وليلة في رحلات السندباد البحري وعلاء الدين ونجم الدين وفي السحر الأسود والسحر الأبيض ، وفي إسراء الرسول العربي ومعراجه من البيت الحرام إلى بيت المقدس ، جدار المبكي اليهودي ، الوارد ذكره في القرآن ، هبوط وصعود الملاك الصالح هيبل زيوا إلى العالم السفلي (الما ريشايا زوطا) لكبح جماح عالم الظلام (عالم الروهة – أور وايواث– زرتاي وزنتاي – هاغ وماغ– كاف وكافان– انانات وقن) ، والعودة من جديد إلى العالم العلوي (الما ريشايا ربا) ، وعروج النبي شيتل بن آدم وسام بن نوح (شوم بر نو) ويحيى (يهيا يهانا) الرسول إلى (الما دنهورا)

عالم النور بأمر من هيي قدمايي ، كما جاء في الكتاب المقدس (كنزا ربا) ، واختفاء موسى النبي في جبل نبو الذي في أرض مواب قبالة أريحا الفلسطينية وبأمر الرب يهوه، حسب التعاليم التوراتية، كل هذه قرائن لا تقبل التأويل عن أحداث بشكلها المعهود وفق صورها الرمزية المنقولة ، تعطي طابع الخيال المبهر والإبداع الفني بألوانه ورموزه وصوره ومنها عروج عيسى بعد اليوم الثالث لصلبه، كما جاء في الكتاب المقدس (الإنجيل).

إن وصف الملائكة ووجوهها المتعددة أو ملائكة العناصر التي تعكس التعدد في الوحدة من أكثر الإبداع والتركيب الضمني لحالة الإسراء والمعراج الديني في الصعود والنزول إلى خالق الكون عبر الأثير السماوي الساكن في الشمال، وما تمتاز به الملائكة من سهولة الحركة في تنقلها بأمر صاحب العرش والعظمة حسب هذا المنظور ، تتجلى صور الإسراع والمعراج باعتبارها وثائق فكرية تصورية فيما وراء الطبيعة، تزودنا بأنماط من وجهات نظر مختلفة عن صلة الإنسان بالخالق وصلة الإنسان بالكون وصلة الله بالإنسان، والإنسان بالإنسان حسب هذا المفهوم ، وتلقي أضواء كاشفة على المعتقدات والأنظمة الروحية والاجتماعية وخاصة في التصوف الديني المعروف إن المرحلة الأولى لبدأ الخلق حسب المعتقدات المندائية الواردة في الكتب الدينية أن مكونات عالم الظلام قد هُزمت من قبل الملاك الصالح هيبل زيوا أثناء رحلته الخيرة لعوالم الظلام ، من أجل تهيئة الأرض ومن أجل آدم وتكوين النسل البشري ، وأن جميع هذه العوالم تمر بها النفس والروح أثناء انفصالها عن جسد الإنسان وعروجها وصولاً إلى العالم المثالي (مشوني كشطا) ، فكانت التراب (الذي يقابلها "اللحم" ، الريح "الأعصاب" ، الحرارة "الدم" ، الماء "العظام" ، والتي تمثل بالرمز "الاسكندولة" المندائية.

وحسب هذا المفهوم نرى أن عروج وخلود الروح أي النشمثا[1] عند المندائيين تمر من هذا الباب ، لذا يعتبرها المندائيون سجينة الجسم – بغرا ، في عالم الظلام (المي ادهشوخا) وفي يوم ما تتخلص من هذا السجن عائدة إلى عالم الأنوار (المي ادنهورا) ، أي بعد انتقالها من العالم المادي إلى العالم الروحي تاركة الجسد الفاني ، بعد أن تحاسب على ما قامت به من أعمال في الدنيا من قبل (الملاك أباثر مُزنيا) في ديوان أباثر (الميزان) أي يقابلها عند إخواننا المسلمين (منكر ونكير) وفق موازين توزن به هذه الأعمال أن كانت كل أعمالها صالحة نقية تذهب إلى عالم النور ، وإن كانت أعمالها سيئة تعاقب بعقاب تتفاوت درجات تعذيبية حسب نوع السيئة التي اقترفها فتلتحق بالعالم الأعلى بعد انعتاقها ، لذا تقام لها وجبات طقسية (ساموراي) لاعتقادهم بخلودها وعروجها مرة أخرى.

لأن الديانة المندائية تؤمن بالعوالم الكونية الأخرى وبخلود الروح وعروجها إلى خالقها الأول كما أشارت الكتب الدينية والميثولوجيا المندائية وعلماء الدين ، ويلاحظ هناك أوجه موازنة متعددة بين الأفكار والشعائر السامية والزرادشتية والمثرية والتي ترتبط فيها الشمس وأشخاصها وإبطالها ورموزها بمبدأ الحياة الإلهية الأبدية.

وقد ركز عدد من الكتاب على بعض المعتقدات المندائية بالقول : إن الطقوس المندائية المتوارثة عبارة عن مزيج بين روحانيات الهرمزية (الإدريسية – المصرية) والحرانية – الشامية ، وفيها جوانب من تقديس رموز الكواكب البابلية مثل القمر (سين) والشمس (شامش) ، والزهرة (دلبات) وغيرها من الكواكب السيارة ، إضافة إلى من هم على ملة نباط العظيم.

١- النشمثا : أي النفس وهي نسمة الحي الظيم التي أودعها الملاك الصالح مندادهيي في جسد الإنسان وهي كائن نوراني موجود في عالم النور، أما الروح هي صفة مكملة للنفس وتتمثل بالغريزة التي تسيطر عليها عوالم الظلام، أما الجسد عبارة عن وعاء يضم النفس والروح ليكون بمكوناته الثلاثة كاملاً غير منقوص رسالته أي رسالة الحي العظيم العظمى حسب المعتقد المندائي.

والاعتقاد السائد بأن المندائيين يعطون اهتمامًا كبيرًا للبروج ولهم في هذا كتب ودواوين منها كتاب البروج "أسفر ملواشة"، وهو مخطوط لأغراض التنجيم والفلك، يستخرج منه الاسم الديني لكل فرد مندائي، ويستعينون به الشيوخ لمعرفة الحوادث لزمنية ولمعرفة البرج الذي ولد فيه الشخص المندائي فيستنبط منه الطالع، والأحداث المهمة في بداية كل سنة مندائية جديدة، كما في ديوان ترسرالف شيالة (١٠١٢) سؤال.

يعتقد بعض الكُتَّاب أيضًا أن كلمة الصابئة قد اشتقت من كلمة السابئة بتحويل الصاد (سين) في اللغة، ويقدسون الأبراج والكواكب السبعة كونها منازل الملائكة، ثم أسقطت العين في سبؤوت أو سبوت أي اليوم السابع، وأن المعلم الأول في المندائية هو (دنانوخت)[1] الذي جاء ذكره وتعاليمه في الكنزا ربا – الجزء الأيمن – الكتاب الثامن، واضع أسس الأعياد المندائية، ومهندس الأهرامات الفرعونية والزقورات، وتعليل ذلك لأن المندائية ديانة معرفية، فالديانة المندائية لها ارتباط روحي كبير بالملائكة والأثريين والاعتقاد السائد حسب ما جاء بكتبها المقدسة وبتعاليم أنبيائها أن الملائكة تسكن في أبراج النجوم والكواكب ولها تأثير مباشر على حياة الإنسان والطبيعة والكون، وهذا ما اكتشفه العلم مؤخرًا، لهذا عرف المندائيون الكراص من خلال هذا الارتباط

١- دنانوخت : أو هرمس أو أخنوخ أو بوذا سف أو أدريس، كلها أسماء لشخص واحد وهو الحكيم والمهندس والنبي صاحب الموعظة والحكمة في قول الكلمة في كتاب، وكما جاء في كتابنا المقدس الكنزا ربا في وصاياه الجزء اليمين- الكتاب الثامن : (باسم الحي العظيم، جالس بين ماء وماء، أنا دنانوخت، الكاتب الحكيم حبر الآلهة الفخور المتكبر، كتبي بين يدي، وسجل ذكر ياتي على ذراعي، في الجديدة أتأمل ومن القديمة أتعلم، فأميز ما كان وما هو كائن، وما سيكون..)... لكن مهما يكون يعتقد أن هرمس الحكيم عاش في تراثنا لآلاف ا لسنين، تنازعت عليه الأمم فاعتبر مصريًا وبابليًا وفارسيًا وهنديًا ويونانيًا ورومانياً، ونسب إليه علم الطب والفلك والفلسفة والحكمو ،ةأحصى ما نسب إليه من كتب ومؤلفات فكانت عدة آلاف، والمعروف عنه أنه شخصية موغلة بالقدم ويكتنف الغموض أصلها وانتماءها العرقي، و لعل هذا التضارب يعود إلى تلك المرحلة البعيدة من الاختلاطبين شعوب الأقوام التي كانت تعيش في البقاع التي كانت شكلُ مركز العالم القديم، جزيرة العرب وبضمنها اليمن، وامتداداتها بلاد الشام وبلاد الرافدين ثم مصر، وتلك المناطق الأخرى المجاورة، بلاد فارس والأناضول وما وراء البحر بلاد الهند واليونان والرومان.

وقد برز في هذا المجال من الصابئة ثابت بن قرة العالم العظيم في الهندسة والفلك والفيلسوف والمترجم، ثابت بن سنان الطبيب والعالم بالظاهر الجوية، كذلك البتاني عالم الفلك، أبي الخطاب الصابي، ابن وحشية صاحب كتاب الفلاحة النبطية، إضافة إلى العلماء المندائيين في هذا العصر، الدكتور الراحل عبد الجبار عبد الله، والدكتور عبد العظيم السبتي.

أما التقويم الذي تبدأ به السنة المندائية هو الشهر الأول – أول ستوا اي (قام دوله – برج الدلو)، شباط الميلادي وتحتوي على ٣٦٥ يوم فقط، وليس فيها سنة كبيسة، وهي تقسم إلى ١٢ شهر، كل شهر ثلاثون يومًا، وتعتبر الخمسة أيام الزائدة شهرًا منفردًا، عيد الخليقة (البنجة)، أما بدء التقويم فهو حسب التدرج التاريخي للأنبياء المندائيين فيقسم إلى ثلاثة:

الأول: بدء الخليقة وهبوط آدم، وهو أول تاريخ يضبط به السنون.

الثاني: عام طوفان نوح، وهو الأمد الثاني لتحديد السنين.

الثالث: ولادة يحيى – يهيا يهانا، ويختلف عن التقويم الميلادي بستة أشهر، ويتخذ منه المندائيون تاريخاً لأمورهم الدينية وشؤونهم الشخصية.

فلسفة وفائدة الكراص:[١]

كلمة الكراص في كتب اللغة: كلمة مأخوذة من كلمة كرز بمعنى دخل واستخفى في غار ونحوه، ويقال كرز في المكان اختبأ فيه، هذا ما جاء في كتاب المعجم الوسيط، وهذه المعاني الواردة كلها قريبة من معنى الكرصة أو الكراص حين يلزم الصابئة المندائيون بيوتهم مدة ست وثلاثين ساعة تبدأ من غروب شمس نهاية السنة المندائية (كنشي وزهلي) حتى شروق اليوم الثاني من السنة المندائية الجديدة، وقد حدث إبدال (الزاي) صاد لتقاربهما في الصوت، وهذا شائع في لهجات العرب، وشاع استعمالها بيننا وأخذت مدلولاً خاصًا لدى الصابئة المندائيين.

١ـ للأستاذ عزيز سباهي مؤلفات وبحوث قيمة من الضروري الإطلاع عليها للاستفادة منها.

ومسألة الكراص المندائي رغم كونها ظاهرة تراثية فلكلورية متوارثة كالمتعارف عليه عند بقية الأقوام والشعوب، لكن في جوهرها مضامين فلسفية وفكرية ودينية تتجلى في أسمى صورها لما تتمتع به من معاني كبيرة عن الحياة وعن الخالق وملائكته الأثريين، وعن الصراع الأبدي القائم بين قوى الخير والشر بين النور والظلام على مر العصور والدهور، والهدف الأسمى هو الحفاظ على كيان الإنسان وديمومته في تعمر الأرض ونقاءها، وتعطينا دروسًا ذات قيمة عن معنى المحبة والتكاتف والتعاون بيننا ولم شمل العوائل المتباعدة بسبب الظرف في يوم مقدس مثل يوم الكراص المندائي.

لقد جعل من وصايا النبي والحكيم دنانوخت، أعيادًا للصابئة، وفي أوقات معروفة، فالشمسية منها تتزامن ودخول الشمس رؤوس الأبراج، أما القمرية فعند رؤية الهلال، (كما لمح لها المؤرخ القفطي علي بن يوسف في كتابه – تاريخ الحكماء – المتوفى عام ١٢٤٨م)، (ولبس البياض على نعت ملتهم – ملة إبراهيم الخليل – بالحنفية البيضاء).

ويعتبر عيد السنة الكبير (التكريص) ويسمونه (الضحوة) أو التقدمة، أو الأضحية الكبرى (دهوا ربا) وهو ذكرى هبة الله الحياة أو النسمة، أو الكلمة أو الأمر الذي كان به آدم الإنسان الأول الذي عمَّر هو وأبناؤه الأرض، فبناها لأول مرة، يقع هذا العيد في اليوم الأخير من السنة المنهية (نهاية كانون الثاني) وهو يوم الاجتماع والنقاء، إذ يرتدي فيه المندائيون الملابس البيض ويصطبغون (يتعمدون) وينظفون بيوتهم وأوانيهم، ويعدون معدات العيد، فينحرون الخراف أو الدجاج أو البط، ويهيئون أنواع الأطعمة والأشربة الأخرى، إذ يبدأ التكريص مع غياب الشمس لذلك اليوم، حيث يكون فجر اليوم التالي هو (الأول من شباط)، وهو اليوم الأول من السنة الجديدة، فيصومون عن أكل اللحوم والجوارح وتسمى مبطل ثقيل، وقبله يومان وتسمى مبطل خفيف احترامًا لهذه المناسبة، وتكون مدة التكريس ٣٦ ساعة، وجميع الأرواح النورانية (الملائكة الصالحين) الحارسين للبشر على الأرض أينما كانوا

يغادرون مواقعهم متخلين عن حراسة (ارى تيبل) (الأرض البالية) إلى عالم الأنوار اللانهائي، لتقديم فروض الشكر والطاعة لخالقهم (مانا العظيم أو مانه ربا الكبير) وهذه من الأسماء الحسنى للرب عند المندائيين، لأنه قد أتم خلق العالم السماوي في هذا اليوم بمشيئته، فيبقى الصابئة المندائيون ينتظرون عودتهم إلى عالم النور حيث يستغرق ذهابهم ١٢ ساعة للمعراج، و١٢ ساعة للعودة، و١٢ ساعة بقاء، فيكون المجموع ٣٦ ساعة، حيث يصلون إلى غايتهم في فجر يوم رأس السنة الجديدة، ولذا فكل مندائي يعتكف في داره طيلة هذه الساعات، إذ يجتمع من كان غائبًا، ليعم الفرح بين العائلة.

ومن المعروف أن نهاية الخلق استمرت ستة أيام، ويأتي عيد شوشيان (أي عيد الستة أيام) بعد عيد الكراص مباشرة في اليومين السادس والسابع من السنة الجديدة فيقوم المندائيون بعمل طريانة (لوح طيني) أو صينية نظيفة من (سبعة أجزاء) ومنها الفاكهة وخيرات كثيرة وماء تبركًا وابتهاجًا بهذا العيد السعيد، ويقوم رجال الدين بعمل أكاليل من شجرة الغرب المقدسة الدائمة الخضرة كي تعلق على أبواب البيوت لتجلب النور والبهجة والسعادة لأصحاب الدار وتطرد أرواح الشر، وإن تعليق الأكاليل على عتبات البيوت في عيد شيشلام هو نموذج ما موجود في الديانة الإيزيدية في وقت الربيع، وأن الليلة التي تفصل بين اليوم السادس والسابع تسمى (ليلة القدر) والتي تفتح فيها أبواب عوالم النور، فيها للسمع والطلب من قبل عباده الصالحين (عباد الرحمن)، وهو نفس التقليد موجود في الديانة الفرعونية المصرية القديمة، وليلة القدر الإسلامية.

لذا فإن عيد دهفا ربا أي عيد نوروز ربا أي العيد الكبير، وهو عيد السنة الجديدة وبداية السنة القادمة، والتي تبدأ في اليوم الأول من الشهر الأول المندائي (أول ستوا) أو (قام دوله) أي برج الدلو، وشباط في فصل الشتاء، ويعتبره المندائيون مناسبة سماوية لأنهم يحتفلون به في الفردوس أيضًا، وفي يوم الكراص كل عائلة تصنع أوان من الفخار بعدد أفراد العائلة، ثم يقومون بملء هذه الأواني الفخارية بالفاكهة الطازجة والمجففة، مثل التفاح والجوز

والزبيب وخلافه ، وتحفظ في البيت لمدة ستة أيام ثم تؤكل ، وكذلك هناك طريانة كبيرة يحفظ فيها الماء والتمر وأنواع معينة من الفاكهة والخضر اعتقادًا بحضور أرواح الموتى، ويؤكل قسم منه لغرض النذور والباقي يرمى في مكان بعيد أو في النهر.

إن الكراص فلسفة وحكمة تكمن في تمضية يوم ونصف اليوم في البيت كونه يثير أكثر من تساؤل، لماذا؟ هل هو التزام ديني فقط أم غير ذلك، إن التعاليم المندائية إجمالاً تدعو إلى الالتزام بالهداية والتسامح والمحبة والتعاون والعاطفة والتمسك بالقيم والصفات الحميدة وعدم مخادعة النفس ، وعدم الهرولة وراء المصالح الآنية الزائلة ، إن تجمع العائلة الواحدة في هذا اليوم المبارك يزيدها محبة وتكاتف وتآلف وتعاون وتضحية ، والتي تفتقد في حاضرنا اليوم ، بتفقد الآخرين والسؤال عن أحوالهم وهو أهم شيء فيه المقاصد ، والتواصل الاجتماعي والترافق والتكافل والعطاء، الفرد المندائي لا يفكر في نفسه، بل في ربه وخالقه ، ويميز ويحكم في الأمور السيئة والجيدة ، عندها يمكن أن يتغير حقًا ، في تلك الساعات الطاهرة يطلب المغفرة والرحمة والفضيلة ، له ولعائلته ولمتوفيه وهدايته إلى طريق الحق والصواب ، وأن يكون راضيًا عن الأعمال الحسنة التي أداها طوال السنة الماضية وسيكون مشتاقًا أكثر للاستمرار في طريق السعادة والخير ، فإن الهدف الأسمى هو محاسبة النفس ، ماذا قدمت خلال السنة الماضية وماذا عليها أن تُقدم خلال السنة الجديدة ، هذه هي فلسفة الكراص والعيد الكبير.

قالوا في الكراص:

في كثير من الكتب المتداولة التي تتحدث عن المندائية وعن المناسبات الدينية وخصوصًا الكراص ، الذي يتضمن مفاهيم فلسفية وأخلاقية عميقة يتناولونه بشكل عادي خال من كل نقد بناء ، وكدراسة توضيحية في سبيل المقارنة الهادفة نقرأ ما يلي : في الكراص تكون فيه الأرواح النورانية (الملكي) التي

تحمي الأرض الفانية والمياه الجارية غائبة حيث تعرج إلى عالم النور (الما دنهورا) للتسبيح والسجود للحي الأزلي ، لأن الكرصة بداية التكوين الأول للخلق الذي استمر ٦ أيام ، لذا فإن المياه الجارية والأرض وحسب المعتقد المندائي تكون عرضة لأي قوى شريرة ، والتي تُقهر عادة بواسطة الحماية الروحية ، وفي نهار اليوم الثاني من السنة الجديدة حيث يبتهج الصابئة بعودة النور إلى الأرض ورجوع الحماية الروحية.

واليوم الأول من السنة المندائية الجديدة هو بداية عيد الكبير أو (دهفه ربه أو دهوا ربا) الذي يعتبر السنة المندائية الجديدة ويحتفل به في بداية شهر قام دوله ، الشهر الأول من السنة المندائية ، وكذلك يطلقون الاسم الفارسي أو الكردي نوروز ربه على هذا العيد ، ٣٦ ساعة قبل اليوم الثاني من قام دوله ، أي الليلة قبل السنة الجديدة واليوم الأول من السنة الجديدة يسمى كنشي وزهلي ، أي (الكنس والتنظيف) ، خلال هذه الفترة لا أحد يخرج خارج المنزل ولا تقام فيها أي طقوس دينية ، إن الطقوس الدينية تقام للحي قدمايي وليس للملائكة أو للمخلوقات النورانية ، كما هو السائد عندنا ، خوفاً من آلهة الظلام الخمسة (شدوم وهاخ وزوجة ماخ وكاف وزوجة كافان وزارتاي- زارتاني وكرون- جبل اللحم) ، كما هو وارد في الميثولوجيا المندائية.

ويبدأ الكراص عند مغيب الشمس ليوم كنشي وزهلي ولمدة ٣٦ ساعة ، أي ليلتين ويوم ، والطعام الكافيين حيث لا يجوز استخدام الماء الجاري أثناء التكريص أي خلال ٣٦ ساعة كما ورد في النص (كل من يحلل الماء الجاري خلال ٣٦ ساعة سوف يلعن بلعنة شيشلام ربه) (ألف وترسر شياله).

والتكريص بحد ذاته يعتبر حدث عظيم يمثل بداية تكوين العالم المادي بأمر الخالق العظيم ، وفيه تصعد المخلوقات النورانية (الناطري) والمكلفين بحراستنا إلى المي دنهورا (عالم الأنوار) ، حيث رب الأكوان ليمجدوا ويسبحوا للخالق العظيم شاكرين خالقهم على تلبية دعائهم بتكوين هذا الكون المادي حيث تستمر

رحلتهم ٣٦ ساعة، لذا تصبح الأرض وعالمنا المادي خلال هذه الساعات تحت سيطرة الأرواح الشريرة (شفياهي)، التي يقابلها (الجن) عند إخواننا المسلمين، لذلك وجب على كل فرد مندائي التسلح بالصلوات والأدعية وحفظ النفس إلى أقصى حد ممكن، وفي هذه الأيام لا يسمح بدخول الدار من قبل أي شخص خلال فترة التكريص وعدم لمس الحيوانات والنباتات، وعند وفاة شخص في ليلة ويوم الكراص يدفن بعد انتهاء فترة الكراص.

وهناك اعتقاد أورده الأستاذ الراحل غضبان رومي عكلة الناشي في كتابه (الصابئة) يقول فيه: إن أيام هذا العيد؛ ويقصد العيد الكبير (دهفا ربا)؛ ترمز إلى محنة أو كارثة أصابت الصابئة فلبدوا (كرصوا) في دورهم خوفًا على حياتهم من البطش والقتل وهذا ليس بغريب على المندائيين خلال تاريخهم الطويل المليء بالمعاناة والترحال، وهذا استنتاج لا أكثر لما مرَّ به المندائيون من مِحن وأزمات خلال تاريخ وجودهم.

معنى الكرصة لغويًا:

وقد كتب الأستاذ مجيد جابك عن ذلك قائلاً: وبعد إطلاعي على موضوع ممتع للشيخ الجليل الترميذا خلدون ماجد عبد الله عنوانه (الكرصة ومغزاها) وقد أثارت فيَّ هذه الكلمة (الكرصة) اهتمامًا بمعرفة أصلها لأنها تحمل في ثنايا حروفها ذكريات الطفولة الحلوة البرئية.

وقد بحثت عن أصل هذه الكلمة في المعاجم العربية التي بين يدي مادة (كرص) ولكني لم أعثر عليها، فقلت ربما تكون تلك الكلمة من أصل مندائي، فراجعت معجم دراور – ماسوخ المندائي لعلي أجدها، فوجدت أن كلمة (كرص) تعني أشار، غمزة، كون... الخ، وهذه المعاني بعيدة كل البعد عن معنى الكرصة التي شاع استعمالها بيننا نحن الصابئة المندائيين، فقلت لعلي أجدها في مادة (كرز) العربية.

جاء في المعجم الوسيط مادة كرز : دخل واستخفى في غار ونحوه، ويقال كرز في المكان اختبأ فيه، وهذه المعاني الواردة كلها قريبة من معنى الكرصة، حين يلزم الصابئة المندائيون بيوتهم مدة ٣٦ ساعة، تبدأ من غروب شمس نهاية السنة المندائية (كنشي وزهلي) حتى شروق اليوم الثاني من السنة المندائية الجديدة.

وقد حدث إبدال (الزاي) صاد لتقاربهما في الصوت ، وهذا شائع كثيرًا في لهجات العرب، وقد روى لنا العلامة جلال الدين السيوطي في كتابه (المزهر) هذه الحكاية الطريفة نقلاً عن الأصمعي:

قال إن رجلين اختلفا في (الصقر) الطائر المعروف، فقال أحدهما بالصاد وقال الآخر بالسين (سقر)، فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو (الزقر).

إن هذه الأحرف الثلاثة (الزاي، السين والصاد) متقاربة في مخارجها الصوتية، فحدث بها إبدال فاختلف النطق بها، وقد ورد الإبدال كثيرًا في لهجات العرب، ورب قائل يقول: لماذا لم يكن أصل كلمة الكرصة من (كرس) وأقول: جاء في المعجم الوسيط مادة (كرس) ما يأتي: كرس الرجل وازدحم العلم في صدره، وكرس الشيء ضم بعضه إلى بعض، وكرس البناء أسسه... الخ.

وجاء في المنجد: (كرس البناء أسسه، وكرس الأسقف البيعة والأواني الكنيسة باركها ودشنها بحفلة طقسية وخصصها لخدمة الله، وهي نصرانية دخيلة)... إن جميع هذه المعاني التي انطوت تحت مادة (كرس) بعيدة أيضًا عن معنى الكرصة، والخلاصة أن كلمة الكرصة عربية الأصل جاءت من الفعل (كرز) وشاع استعمالها بيننا وأخذت مدلولاً خاصًا لدى الصابئة المندائيين.

البروناليا والولادة من زهرة اللوتس:

وفي مقال له؛ كتب مثنى حميد مجيد عن عيد الصابئة، البروناليا، حيث ذكر أن أيام الخلق التي عبر فيها الخالق – الباري – عن قدرته العفوية في خمسة أشكال أو مظاهر أو أيام، ولذلك فهي برية، أي طبيعية وعفوية في انبثاقها وجدلها وصيرورتها، ولم تصدر عن افتعال أو حاجة أو نقص، وهذه الأشكال أو المظاهر هي:

١- الحياة.

٢- العظمة أو القدرة الذاتية للحياة (ربوثا)، على الولادة الدائمة والتجدد.

٣- المعرفة (منداهيي) أو قدرة الحياة على وعي ذاتها كونيًا وتاريخيًا.

٤- القسط (كشطا) أو قدرة الحياة على تحقيق مبدأ العدالة والانتظام والموازنة في ديمومتها وحركتها.

٥- الماء الحي (مياهيا) وهو الحاضن الأولي اللازم للمادة العضوية وولادة الكائنات البرية.

ومفردة بروناليا ذات علاقة متداخلة بأشكال الفعل العربي أبري إبراء أي خلق، وبري أي نبت بشكل عفوي، ومنه نقول نبات بري أي ينبت بشكل عفوي، وبري يبري العود أو السهم أو القلم أي يثقفه فيقال أعطِ القوس باريها أي صانعها أو مهذبها، وجاء في القرآن الكريم **{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ}**[١]، ونجد نفس الجذر للفعل العربي (بر) في المندائية والعربية تعني ابن، ولد ويتداخل نفس الفعل صوتيًا مع الفعل العربي فرع تفرع فرع، والفعل المندائي فرا أي أثمر وتفرع، وفيرا تعني الفرع أو الثمرة أو الشجرة لغياب العين في المندائية.

ولذلك تسمى البروناليا أحيانًا فرونايي ومن نفس الفعل تمَّ اشتقاق التسمية القديمة المركبة للهرم أو البيرمد المصري وهي بيرا – ميت – أي مستقر أو بيت الابن البكر، الأول للسلالة، الفرع الأول، الثمرة الأولى، وفيرون أو عربيًا

١- القرآن الكريم : سورة الحشر - الآية ٤٤

فرعون لا تشير فقط إلى الملك المصري، بل إلى الجد الأول أو الابن البكر والأقدم في العائلة أو السلالة.

وقد كان المصريون القدماء كالصابئة يحتفلون بهذه الأيام الخمسة لخلق العالم وعلى أساسها تمَّ اشتقاق فكرة الهرم الذي يتشكل من خمسة أوجه أربعة مثلثات وقاعدة مربعة، وفي الوقت الذي تمثل فيه المثلثات الأربعة حزمة من ضوء أو طاقة منبثقة من نقطة لا متناهية في الصغر هي بمثابة البعد الأول، فإن القاعدة المربعة تمثل الانفتاح اللانهائي للكون، فالهرم هو الهيكل الرمزي الذي من خلاله يتم تجدد الحياة والعودة إليها، ويعيد الباحثون فكرة الهرم إلى الزقورة السومرية، ومن خلال الشعوب القديمة السامية ومنها الصابئة انتقلت إلى مصر القديمة.

على مستوى الطبيعة تجسد زهرة اللوتس الجميلة المعاني الرمزية لهذه المناسبة وهي لدى المصريين والصابئة تعبير عن الثمرة داخل الثمرة والتي ولدت منها آلاف الثمار، وتزهر نبتة اللوتس مع بداية الربيع وحتى نهاية الخريف، وتتفتح في الصباح لتغلق تويجاتها عصرًا لأربعة أيام، وفي اليوم الخامس تتفتح تويجاتها للمرة الأخيرة ولا تغلقها بل تسقط ليبقى فقط الجزء الأخضر والقمعي منها ينحني نحو الماء، ويلقي بذوره لتبدأ ولادة جديدة للحياة، وقد كان المصريون يستخدمونها في طقوس الدفن كرمز لتجدد الحياة فقد وجدت بقاياها تغطي جسد توت عنخ آمون عند فتح قبره عام ١٩٢٢.

ويستخدم الصابئة بدلاً منها إكليل الآس بنفس المعنى وفي الوقت الحاضر وفي بلدان كالسويد حيث لا تنمو الآس فهم يستخدمون نبتة دائمة الخضرة مشابهة لها لكن الغرض هو ذاته والاختلاف في نوع النبتة كما يظهر يرتبط بظروف البيئة والمناخ والمكان وعلى مر العصور.

ويعبر مجازيًا عن زهرة اللوتس لدى قدماء المصريين بتويجاتها الداخلية الصفراء، بالبيضة الكونية أو الوعاء الأول للولادة الكونية وهو ذات التعبير

المجازي تمامًا الذي يرد في المآثر المندائية لدى تطرقها إلى نظرية الخلق ويتم التعبير عن هذه الولادة فلسفيًا بمفردة (مانا) التي انبثقت منها المانات وهي مفردة ذات معنى مزدوج إذا تعني وعاء وعقل في ذات الوقت، ومجازيًا يتم التعبير عن هذه الولادة بالثمرة فيرا داخل الثمرة أو البيضة (هلبونا) التي ولدت منها الحياة وكل هذه التعابير والمفردات تتطابق مع ما ورد منها في نظرية الخلق المصرية القديمة ورغم مرور آلاف السنين وهو ما يؤكد قدرة الصابئة على حفظ القديم الضارب في القدم، كما يؤكد أيضًا الأساس الموضوعي الذي تقوم عليه أساطيرهم عند تحليلها من منظور تاريخي علمي.

وأدرج فيما يلي بعض التعابير ومقاطع من التراتيل والصلوات المندائية التي ترد فيها تلك المفردات مثل فيرا، فروان، بروان[1]، طوراهيوارا، أي الجبل الأبيض، الكرمة أو الجفنة، وكلها ومن منظور تأويلي ولغوي ذات صلة وثيقة بالبنى الفكرية والميثولوجية المصرية القديمة، وتحمل أيضًا في بعضها دلالات وإشارات واضحة للأهرامات المصرية.

– ثم إني أمجد وأسبح وأثنى على ذلك الإكليل النقي الذي أغدقت به عليه الكرمة الأولى بيرون العظيمة والسرية – الترتيلة ٣٧٤ ص ٢٦٨ قلستا.

– بهاتا فيرا هون منه ألف ألف فيرا اد ساجا – من ذلك الثمر ظهرت الآلاف من الثمرات التي بلا حد – الكنزا ربا – اليمين.

– ويرد في الترتيلة ٣٧٩ ص ٣٠٤ من كتاب قلستا هذا المقطع عن الكرمة بروان، ولسوف ترى جبلين نقيين وصافيين، ومن خلفهما سترى النور الأثيري

١- يُشار إلى الهرم، الألألأ الأبيض بفروان طورا اد هيوارا كرمز للمعرفة، ويشار إليه أيضًا في كتاب قلستا المندائي بالكرمة أو الجفنة فيرا أو بيرلالا لاحظ الصفحات ٧، ٢٦٨، ٣٠٤، ونفس معنى الماء الحي، الحيوي، المولد للثمر والزرع تمنحه مفردة فيرا لاسم النهر (بيرياويس) اليردنا العظيمة الذي يرد كثيرًا منها الصفحات ٧، ٢٢، ١٥، ١٨، ٣٠، ٦٨، ٤٤٣، ٢٣٢، ٢٦٠، كتاب قلستا.. ويرد في نفس المصدر بوصف آخر بيرياويس زيوا في الصفحتين ٩، ٢٢.

السامي مرتفعًا في مقام الحياة العظمى الأولى وسترى الكرمة بروان مرتفعة في الأرض الثابتة النابتة المفلحة[1].

إن هذه المفردات المندائية مثل جبل، جبل أبيض، كرمة، ثمرة، فرا، فروان، بروان... الخ، تأتي دائمًا في اللغة الدينية في سياق واحد ومتقارب وغالبًا ما تتداخل، وكحزمة لغوية واحدة، في أبعاد ميثولوجية وأسطورية دلالية متماثلة وذات مغرى مقارب يوحي باتجاه زماني ومكاني واحد تؤشر له وتتقارب مع بعضها باتجاهه.

في كتابه (أصول الصابئة المندائيين)؛ يستعرض الأستاذ عزيز سباهي أوجه التشابه بين معتقدات الصابئة وأساطيرهم وتلك الخاصة بالشيثيين، كما تتضح في مخطوطاتهم المعروفة بمخطوطات نجع حمادي، والتي تشير إلى أن واضعها هو شيت العظيم، وهي أيضًا تذكر الجبل الأبيض المقدس (سير) المذكور عند المندائيين، وأن نوح بنى فلكه هناك، ترى أسطورة مندائية أن سفينة نوح قد رست في مصر، وأن كلا من الصابئة والشيثيين يعتقدون أن بوابة النور، ولهذا قِبلتهم الشمال العلوي القصي ويستدلون عليه بالنجم القطبي، وينوه أيضًا إلى تأكيد الصابئة أن كتبهم كانت مدونة على ألواح محفوظة في جبال مقدسة بيضاء.

ومما يذكره الأستاذ سباهي أن الشيثيين كانوا كالمندائيين يستخدمون الصور، مثل صورة البيت في إنجيل توما، أحد المخطوطات التي عثر عليها في نجع حمادي التي تقابلها صورة ال (شكنتا) لدى المندائيين، وصورة النسر للتعبير عن المخلص في (الكتاب السري ليوحنا)، ويستعرض أيضًا أساطيرهم المشابهة لأساطير المندائيين التي أوردوها في كتباهم (سفر آدم) المتضمنة رؤيا آدم التي

١- لم تترجم الليدي دراور الكلمات ا لثلاث الأخيرة ضمن المقطع وتركتها بأصلها المندائي : شارات – أوابدات – أكيشرات، وأعطتها الترجمة التالية في الهامش : (She- was- firm- and- she- acted- and- was- successful)،تبدو هذه الكلمات ا لثلاث مثل إشارة ضمنية وحاملة لمعنى مقارب جداً للشارات المصرية اللالالاةلالالإلا الإنخ والجيد والواس.

يقصها لولده شيت وهو في السابعة من عمره، يعرض فيها ما سيواجه البشر وعن الدورات المتعاقبة لفنائهم وقصة الخلق المشابهة لما عند المندائيين، وقصص أخرى مشابهة لقصة حمل النسر أنوش أثرا ليهيا يهانا إلى الجبل الأبيض... الخ.

وبودي التأكيد هنا إلى أن ما توصل إليه الأستاذ عزيز سباهي عن العلاقة التاريخية والدينية بين المندائيين والشيشيين هو استنتاج يقارب الحقيقة، وأن هذه العلاقة يمكن أن تسندها ليس فقط مخطوطات نجع حمادي بل المقارنة اللغوية العلمية لأهم مفردة تدور حولها كل أساطير ومعتقدات الصابئة والشيثيين، وأقصد بها اسم الجبل الأبيض (سير)، فهو ليس غير اسم أو صار المندائي الدال على (أوسير) الهيروغليفي، أوزوريس، وأن الإشارة إلى الجبل الأبيض إضافة إلى دلالاتها اللاهوتية والتاريخية ما هي في الاستنتاج الأخير إلا إشارة، مباشرة أو غير مباشرة إلى الأهرامات، ومنها بشكل خاص الهرم الأكبر الأبيض أصلاً في مظهره الخارجي[1].

وأبو صير هو اسم لعدد من قرى مصر تتميز بوجود آثار فرعونية أو رومانية ومنها قرية أبو صير الأثرية بالجيزة، وفيها العديد من أهرامات الأسرة الخامسة ومعابد الشمس وأشهرها معبد الشمس للملك أوسر كاف، وتقع منطقة آثار أبو صير في جبل أبو صير، وقد عرفت في النصوص القديمة باسم بواوزير أي مقر أوزوريس، وعثر في المنطقة على مقابر من عصور ما قبل الأسرات ومن الأسرتين الأولى والثانية ومن الدولة القديمة وبعض مقابر الدولة

١- حافظ الهرم الأكبر على مظهره الأبيض حتى عام ١٣٠٠م، حين تسبب زلزال شديد في انهيار العديد من صخور الحجر الجيري التي كانت تغلفه ثم أجهز على ذلك الغلاف السلطان المملوكي الناصر ناصر الدين الحسن باستخدامه تلك الصخور في بناء مساجد وحصون للقاهرة.

الحديثة، وآثار ترجع للأسرة ٢٦، وأبو صير كانت الإقليم رقم ٢١ من أقاليم مصر العليا وبالمنطقة معبد الإله بتاح سوكو أوزيز[١].

البروناليا... الأيام البيضاء :

بمبادرة من القسم الثقافي التابع لمجلس شؤون الطائفة قدم فضيلة الترميذا خلدون ماجد عبد الله في يوم الجمعة المصادف ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٤ على قاعة المندي ؛ محاضرة شاملة بمناسبة عيد البروناليا (عيد الخليقة)، وقد جمعت المحاضرة شروحًا دينيًا وعملية لهذه المناسبة السعيدة، إضافة لعمقها الفلسفي الجدير بالمناقشة والتمعن.

وقد قدم فضيلته للموضوع بقوله: إن من أهم الصبغات الجوهرية التي تتصف بها المناسبات الدينية المندائية هي تناولها لموضوع الخلق والخليقة بمختلف حلقاتها وأطوارها، مما يدل على أصالة وعمق المبادئ المندائية الربانة، من حيث عودتها إلى رأس الخليقة وهو الخالق (مشبه اشمي)، أما بروانايا فلها موقع الصدارة بين المناسبات الدينية لأنها تمثل رأس الدهفي (الخليقة)، وتمثل أيضًا رأس السنة الكونية (الربانية) لأنه يوجد في ديانتنا ما يسمى برأس السنة المندائية (الدنيوية) التي تبدأ بالحمل (نيسان المندائي) من ٩- ١٠ ميلادي، أما

١- ورد في الترتيلة ٤٩ من كتاب قلستا وصف لمراحل انتقال النفس عبر نهر الموت (هافيقيا ميا) المحاذي لعالم النور، في ديوان أباثر هناك سفينة لنقل النفوس، ويرد ذكر كائنات متعددة لمساعدة النفس منها شاروئيل- صاروئيل – ملاك الموت الشاري.. المفدي (مفاهيم صابئية مندائية ص ٣٦) ويرد أيضًا ذكر أربعة كائنات أخرى هي إن هيي، شوم هيي، زيف هيي، وأنهور هيي، وكل منها يلف النفس برداء ضياء إذا كان ذكر أو رداء نور إذا كانت أنثى، وهذه الكائنات تذكر بأربعة كائنات مصرية مثلها، هي : مستي، حابي، دواموت سنو إف وقبح سنو إف، ترافق حورس في رحلة مشابهة، وتنتهي الرحلة باستلام النفس من قبل الملاكين بتاح وأوصار اللذان يفتحان لها باب الحياة لتدخل وتتحد هناك مع نظيرها، وفي هامش ترجمتها لكتاب قلستا ص٤٦ شيُر الليدي دراور إلى معنى مفردة (سير) التي تأتي بمعنى الـ باب الذي يفتح للحياة الخالدة، مما يعني ضمنيًا أن مفردتي بتاح وأوصار هما اختزال لعملية فتح بتاح لـ باب الحياة (أوصار)، وفي المندائية يأتي الفعل صر، صرر بمعنى ربط أو شد، أكدية صريتو بمعنى رباط، مفاهيم صابئية مندائية ص ٢٠٦، وهو ما يؤكد إضافة إلى ما ذكرناه سابقًا لأصل السامي المندائي للإسمين المصريين بتاح وأوصار أو أوسير أوزير.

تعريف كلمة بروانايا فهي الأيام الخمسة من مجموع ٣٦٥ يوم، وهي بداية الخلق العلوي بقدرة الخالق الجليل حيث تجلت في هذه الأيام المباركة صفاته السامية في عالم النور معلنة بداية الخليقة التي استوعبت كل الأكوان دون تجسيد مادي بما فيها توصيف آدم الرجل الأول في عالم النور ثم إكسائه (الرستة) بأجزائها الخمسة باعتباره ممثلاً وتمثيلاً لهذا الوجود.

جاء في كتابنا الديني ترسر ألف شيالة (ألف واثنتا عشر سؤالاً) من ص ١٧-١٩ وصايا الخالق (مشبا اشمي)، هذه الأيام الخمسة من مجموع ٣٦٥ يوم هي أيام التذكر العظيمة (دخرانا) التي لا ظلمة فيها ولا ليل ولا حكم للظلام عليها ولا ميل، حيث لا يوجد ليل يشطرها وتتمثل أيامها بما يلي:

١- اليوم الأول لملك الملوك أبي العوالم (رب ايلايا) الرب العلي الذي بعث نفسه بنفسه (اد من نافشي افرش).

٢- اليوم الثاني هو يوم (مارا اد ربوثا ايليثا) أي رب العظمة السامي، وتأتي أيضًا من معنى (المربي السامي)، دلالة على بداية نمو وتربية الحياة بأولى حالاتها النورانية.

٣- اليوم الثالث هو يوم (منداهيي) أي عالم الحياة، ويشير إلى الصفة الجوهرية للخالق الجليل باعتباره منشئ الحيوات بدرجاتها وأنواعها (هيي قدمايي).

٤- اليوم الرابع الذي يتجلى بـــ(دموث كشطا) أي مثال الحق (هيي اد هون من هيي كشطا اد هو من قدام بريش) أي الحياة التي وهبت من الحي والحق الذي هو بالرأس قبلاً.

٥- اليوم الخامس (يوم الذخرانا)، وفيه وزعت الأنهر الجارية (يردنا رب اد ميا هيي).

وقد ورد في السؤال ١٩ من (ألف ترسر وشيالة) ما يلي:

هكذا أحيط رأسه بالتاج، هذا التاج الذي يتكون من أربعة أسرار هي: (العين والنخلة – الإخصاب "التفاعل" – المجد "الإشعاع" – الضوء)... وهذه الأسرار الأربعة تتكون من سبعة أسرار تتمثل بالأذنين والأجزاء الخمسة التابعة للرأس، ومناطق الشعر الخمسة على الرأس، لأن هذا التاج يحكم على ٣٦٠ سر التي هي مجموع ما في الجسد عن يمينه وشماله، والكل قد أخذ شكلاً واستقر هناك وتطور إلى ١٠٠٠ سر.

ولهذا فإن هذه الأيام الخمسة تعتبر أتقى الأيام وأطهرها، (كطهارة النفس بالنسبة للجسد، وأسماها كسمو الرأس عن الجسد)، ومن هذه الأسرار الخمسة خلق شيء وسطر قبل أن يتجسد، فهي رأس لل ٣٦٠ يوم الباقية، فكل الأسرار تنبثق منها، وإن الخالق العظيم يفصح نفسه فيها، وفي كل يوم بصفة أساسية سامية، واسم يدل على ماهية تلك الصورة الجوهرية الخاصة بالخلق، وهي قد وجدت من قبل ملايين السنين من الخلق المادي، والتي تجسدت لاحقًا على أساس ذلك التصميم الأول الذي حدث.

(برونايا) لأنها البداية لكل شيء حين تجلى (مشبا اشمي) بأولى حالاته (صفاته) رب ايلايا الرب العلي، ثم تجلى كرب سام (مارا ادربوثا اليثا) كسيد على الكون وبعدها أنشأ الحياة بقدرته وعلى (منداد هيي) وكان أن ثبت الحق في أساس خلقه من بعد (دموث كشطا) وأسفر ذلك عن تشكيل وتوزيع المياه الجارية ذو الماء الحي في عالم النور (يردنا ربا مياهيي)...

وأتطرق هنا إلى رأي شيخ جليل من رجال ديننا، هو الشيخ (سالم شخير) في تفسير البروانايا ومفهومها حيث قال: هي بدء الخليقة حيث جبل في هذه الأيام الخمسة الكون، بصفة روحانية من صفات الخالق الأساسية حيث قدم فيها، الماء والضوء والنور والإشعاع (ميا وزبوا ونهورا وايقاره) وظهرت فيها الحواس الخمسة في الرأس فهي تمثل الرأس، الخالق جل شأنه كذلك فإن الجسد البشري قد توضح بأجزائه الخمسة في هذه الأيام بصورة نورانية وفصلت على

هذه الأجزاء خمسة قطع نورانية تمثلها (الرستة) حيث يقول الخالق: هذا آدم نفخته من صفته بهيئة ريح نورانية في الماء وكان ذا في البروانايا في المي اد دنهورا انتهاء قول الشيخ سالم.

جاء في الصحف الأولى كنزا ربا مبارك اسمه حول الخلق الأول وفي النصوص التي تتناول الخليقة بمختلف أطوار ودرجاتها المختلفة ما يلي: وبأمره مشبا اشمي وقدرته خلق كل شيء وكان ذلك عن طريق الكلمة (هوا بميمرا) أي الخلق بالكلمة أو الاستدعاء حيث ورد (بميمرخ هوا كل مندام) أي (بكلمتك خلق كل شيء) واستعمال (كلمتك) يختلف عن المعنى المجرد الذي نعرفه، فهي لا تنطق أو يؤمر بها إلا بعد اكتمال القاعدة المؤهلة لصدور هذا الأمر، أي وجود حيثيات هذا الأمر، أي أنها عملية علمية بالمعنى السامي...

ويوصف التكوين الأول في أحد نصوص كنزا ربا بأنه كان كالثمرة (فيرا)، وهذه الثمرة كانت في داخل ثمرة عظيمة ذات كتلة ممتلئة محتدمة المحتوى، تضم عناصر فريدة ومتنوعة ليس لها مثيل في وقتها.

إن ذلك النشوء لم يكن قد اكتمل بعد داخل ما يمكن أن يوصف بالرحم الكوني العظيم (الثمرة الربانية العظيمة) حيث كان محتواه مضغوطًا وهائجًا وعناصره متباينة، فهو ما يزال في عملية النمو والنشوء الأولى ومن بين عناصره اير (الأثير) ومانا (العقل) وبورا (الألق الوهاج)، وكنا (الفراغ أو المكان) وتنا (النجار الكثيف) ويفلطتنا (قطرة التكوين) ودموثا (النظير) وقد ظهرت هذه العناصر الربانية بأوقات مختلفة ذات مراحل وأطوار متسلسلة، فمثلاً (مانا) أي العقل الرباني استغرق وحده في موضعه ٩٩٩٠ مليون سنة و(نيطقتنا) بقيت في مسكنها ١٤٤٤ مليون سنة، وبطريقة ربانية لا يدرك كنهها وعبر عدة مراحلة وأطوار نتج عنها (الماء والضياء والنور والإشعاع)، وهذه هي العوامل الأساسية الجوهرية لعموم عملية الخلق.

ورد في كتابنا المقدس (سيدرا اد نشماثة) في بوثة التكوين (قشش) ما يلي : (باسم الحي وباسم عالم الحياة وباسم الكائن الأول) الذي هو قبل كل شيء، قبل تكون الماء والضياء والنور والإشعاع الكائن الذي خلق بكلمته ونطق بكلماته من قوله وكلماته (أثمرت وأزهرت ونضجت وتكونت سلالته واستقرت الحياة الأولى بمقراتها)، وعندما نستمر بهذا النص نجده يتطرق إلى المرحلة الرابعة والأخيرة من الخليقة وهي الخلق المادي (دهوا ربا) وهو ما حدث في (الكرصة)، حيث يقول (لا هوت اره اد مسوثة ولا هون داري اد بكويهون ميا سياوي منيهون ومن هنا تون ميا سياوي كبلت ونفقت بيشون اهدي اد هون منا اليفا ليف رازي وروبان روبان شيغياثي... الخ).

وعندما نقارن ما جاء في كتبنا المقدسة حول الخلق نجده قريبًا مما جاء في بعض النظريات العلمية الحديثة، فقد تناولت هذه ولادة الكون مبنية على أسس علمية متينة، إلا أن النظرية التي حظيت باهتمام كبير، وعمت شهرتها جميع الأوساط العلمية هي نظرية (الدوي الهائل) أو ما يعرف (بالانفجار العظيم)، وتنص هذه النظرية على أن الكون بدأ بانفجار عظيم مدو ، وهو ليس كالانفجارات العادية التي تبدأ من مركز معين ثم تنتشر أكثر فأكثر في جميع أرجاء الفضاء، بل إن هذا الانفجار حدث أنيًا وفي جميع أرجاء الفضاء، واندفع على أثره كل جسيم فيه إلى الخارج مبتعدًا عن الجسيمات الأخرى وملأ هذا الانفجار المدوي جميع أرجاء الكون منذ بدايته.

إن هذا يذكرنا بما يطرحه الفكر المندائي حول عملية الخلق المادي فعند الرجوع إلى الماضي السحيق نرى أن جميع المجرات والنجوم كانت متقاربة مع بعضها جدًا، بحيث لم يكن هناك متنفس لها، وهذا يذكرنا بمطلع البوثة (حينما كانت الثمرة العظيمة داخل الثمرة العظيمة، وحينما كان الأثير داخل الأثير... الخ)، وفي رأي علمي آخر جاء به البروفسور الروسي (أندريه ليندا) يقول : إن الفضاء هو وحدة كاملة لا نهائية تكرر إنتاج نفسها باستمرار على

شكل أكوان صغيرة تنشأ ثم تتشتت ، ويعتقد بوجود نظرية تخدم كل شيء وتفسر عالمنا بجمالية وصفاء كاملين...

وأود أن أشير أن من الخطأ الدخول في تفسير الفكر الروحي أو الديني بالاتكاء على النظريات العلمية أو المقارنة بينها، لأن هذه النظريات غير ثابتة وتخضع لمستجدات في مراحل مختلفة وفي نفس الوقت ليس من المنطق أن نعتبر هذا الفكر المندائي الثمين ما هو إلا فلسفة أو أدب أو أساطير بل هو فكر سام وعلم حياة فلا غنى إذن عن تناول هذا الفكر والمبادئ والتعاليم الربانية بعقل واع متفتح يستخدم كل ما هو ممكن من طرق البحث والدراسة والتقصي للوصول إلى الحقائق الأولية، وكما قال (أينشتاين) (العلم بدون الدين أعرج، والدين بدون علم أعمى) ، وختامًا أقول إن ما حدث في أيام البروناية الخمسة بالمقياس الدنيوي يعد الانبثاق ، والنشوء والتكوين الأول الذي أفصح فيه الخالق العظيم عن نفسه بصفته الواحد الأحد الذي أعلن بدء الحياة الكونية بصفتها النورانية الأساسية التي شملت بفعلها وبعد زمن طويل كل أرجاء الكون الذي سطر وصمم بصورة نورانية في هذه الأيام الخمسة المقدسة ، مما يتوجب علينا نحن المندائيون الافتخار والإيمان الراسخ بعقيدة النور لنستقي من نوره (مشبا اشمي) وبركاته ما يعيننا على تقويم أنفسنا وعوائلنا ومجتمعنا نحو الصلاح والخلاص في موطن النور والدار المتقنة وهو المزكي.

أبو الفِل والعيد الصغير:

لما كانت البداية؛ كما كتب الترميذا خلدون ماجد الناصح [1]؛ كان كل شيء مسطَّرًا وموجودًا، فمنذ الشروع الأول للحياة السامية في عالم النور (البروناية – البنجة) ثم تنسيب (المصبتا – الصباغة) في (دهفة ديمانة)، فالحدث الكبير المتمثل بتبجيل الأرض وما حولها (دهفا ربا – الكرصة) حتى نزول جبرائيل الرسول (هيبل زيوا) في (أبو الفل) وعروجه إلى عالم النور (العيد الصغير)، ثم كان أن بعث الطيبات (الحبوب) في (أبو الهريس) إلى المخلوقات الأرضية وعلى رأسها آدم وذريته... لتعود إلى رأس هذه الدورة... دورة الخالق والخليقة إلى بدايتها في (البروناية)...

أما ما كان في العيد الصغير (دهوا هنينا) ضمن حلقات الخلق والتكوين هذه، فيتمثل باحتلال النور وانتصاره في حلبة الأرض الفانية (آره أد تيبل) التابعة لعالم الظلام، ويبدأ ذلك الحدث بيوم (أبو الفِل) الذي يصادف الأول من شهر أيار المندائي (أول أبهار)، حيث يقع في الثلث الأخير من شهر تشرين الأول الميلادي، وبعد (١٨) يوم يكون الاحتفال بالعيد الصغير.

يمثل يوم (أبو الفل) بداية الحدث وهو المقرون لدينا بأكل التمر والسمسم (اللذان يرمزان إلى التجسيد الأول للعقل مقروناً للجسد الذي تقوم لاحقًا)، عندما نزل (هيبل زيوا) من عالم النور إلى عالم الظلام (وضمنها الأرض الفانية) بأمر من (هيي ربي قدمايي) الحي القيوم، إذ جاء في (الصحف الأولى) ضمن موضوع (مصبتا اد هيبل زيوا) معمودية جبرائيل ما معناه:

دُعي هيبل زيوا حتى وصل إلى السيماء العظيم الموقر، وكانت تلك من تجلياته (مسبح اسمه)، فهو الذي لا يرى ولا يحد (لا متهيزي ولا مستيخ)، حينها ارتعب (هيبل زيوا) وسقط على وجهه، فبعث (هيي قدمايي) الطمأنينة في نفس (هيبل زيوا) وجعل الخوف والرعب يزولان عنه وقال له: لا تخف يا هيبل

١- للترميذا خلدون ماجد الناصح رجل دين مجتهد له مقالات ومحاضرت مهمة.

زيوا، إني منحتك قوة لم أمنحها لأحد من الملائكة والأثريين من قبلك، سلحتك بهذه القوة لتخضع جميع (الأرواح) القوية الطاغية في عوالم الظلام لأمر النور وتجعلهم من الصاغرين).

وأجريت له بعدها كل المراسيم والتحصينات اللازمة لتلك المهمة بدءًا بـــ(المصبتا) في ٣٦٠ من الأنهار الجارية في عالم النور (الجنة) حتى تزويده ب ٣٦٠ من الأسرار الربانية الخفية الفاعلة ومنحه الراية المضيئة المسماة (بهرام) والتي تضيء بنورها جميع العوالم.

وبدأت رحلة النزول وكان برفقته العديد من الأثري المساعدين غير المرئيين، مرورًا بالعديد من المحطات والكائنات في عوالم الظلام، حيث كان الشر والخديعة والتمرد على عوالم النور، من أجل إدامة السيطرة على كل العوالم الدنيوية، ولكن الذي تمخض عن مهمة (هيبل زيوا) هو استسلام وخضوع تلك العوالم الظالمة وكائناتها الشريرة لأمر (ملك النور السامي) الذي زود (هيبل زيوا) بهذه القوة، وكان معه أينما كان، إذ ورد في ذات النص: (وبذلك انتصروا على ملائكة الظلام وقيدوهم وخرجوا من عوالمهم، فمن ينتسب للنور يعود إليه ومن ينتسب للظلام يعود إليه، فأعلن ملائكة الظلام الطاعة إلى الخالق العظيم وملائكته ورسله، وسلموا وثيقة الطاعة إلى الملاك هيبل زيوا، وعادوا الملائكة الأثريين مرتفعين ظافرين منتصرين إلى عالم النور).

وعندها أقيم الاحتفال للملاك الرسول ومن معه وحصل هيبل زيوا على ٣٦٠ صباغة مع صلاة الارتقاء (مسقثا) كي يحصل على مرتبته التي يستحقها في عالم النور أمام ملك النور، ويقابل هذا الاحتفال ما أطلقنا عليه عندنا (العيد الصغير) الذي يأتي حسب زمننا الأرضي بعد ١٨ يوم من بداية الحدث في أبو الفِل.

ولا نستطيع أن نفهم ما حصل ضمن حلقة (العيد الصغير) دون استيعاب المفاهيم الأساسية للأحداث أو المناسبات (الدهفي) التي سبقتها والتي لحقتها،

فبعد أن تصلبت الأرض كانت خالية من الحياة المبعوثة من عالم النور ، عدا المخلوقات الأرضية بأول صورها ، والتي وجدت في المياه الجارية وتقومت فيها ، كان من حكمة الخالق وأمره بأن توجد حياة عاقلة على هذه الأرض وهذه تتمثل بخلق آدم وحواء ، ولم يأتِ خلقهما إلا على عدة مراحل ، فبعد وجود آدم بصورته الجسدية لم يكن يقوى على الوقوف أو التفكير أو السلوك كإنسان عاقل لأنه كان جسدًا فقط ، وهذا ما ورد في كنزا ربا صحف آدم.

كذلك أن (نشمثا) النورانية وهي نسمة الحياة الربانية ، لم يكن لها أن تحل في جسد آدم لاحقًا ، والدنيا التي هو كائن فيها ، خاضعة لسلطة الظلام وهي كائنة فيه ولم تزل ، فكان من حكمة (هيي قدمايي) وأمره ووجوب فعله أن تهيأ الأرض لآدم وحواء وذريتهما لتكون حياة للأنفس (نشماثا) تابعة لعالم النور في عقر دار الظلام ، وتحقق ذلك بنزول (هيبل زيوا) الذي يمثل (هبة الضوء) أو طاقته وفعله الحياتي الذكي ليلجم فعل وقوة عالم الظلام من جهة وليبعث النور وسلطته على الأرض من جهة أخرى.

وعند سؤالي للمرحوم الشيخ سالم شخير عن مغزى (العيد الصغير) قال : هو الحدث الذي تمَّ بموجبه ربط نشمثا بالروح ، وقد وردت بعض الدلائل في نصوص مندائية تؤيد هذا الرأي ، حيث أنها تشير إلى علوق (نشمثا) في جسد الجنين وهو في رحم أمه بعد ١٠٨ يوم من التكوين الأول (الإخصاب فالانقسام الخلوي) ، وهذه هي ذات المدة التي تفصل بين العيد الكبير (الكرصة) والعيد الصغير ، وحسب المعلومات الطبية فإن الهيكل العظمي والجهاز العصبي المركزي للجنين لا يكتمل إلا في الشهر الرابع من الحمل ، كذلك أشارت أخر البحوث الطبية أن الجنين لا يستجيب للألم في حال تعرضه لشدة خارجية ، إلا في الشهر الرابع من عمره ، وبما أن المبادئ المندائية (المعرفية) تطرح مقولة إن خليقة الجسد والإنسان تقابل خليقة الكون بأسره ، فإن تجبيل الأرض في الكرصة برأينا يقابل تكوين البيضة ثم تخصيبها ، فالانقسامات وتكوين الطبقات والأعضاء... الخ.

فالروح الدنيوية (الروها) التي التبست في الأرض حينها تمثل العنصر الأنثوي، والملاك (أبثاهيل) الذي قام بمهمة (التجبيل) بمساعدة آبائه المبجلين بأمر وقوة الخالق العظيم يمثل العنصر الذكري، ويجب أن نعلم هنا أن نشمثا لا تحل في جسد آدم أو الجنين في بطن أمه ما لم يكن مؤهلاً لاستقبالها، علمًا أن توصيف هذا الجسد بهيئته الروحية تمَّ في عالم النور قبل ملايين السنين من تجسيده على الأرض.

وليس معنى هذا أن يكون نزول (هيبل زيوا) في تلك المناسبة هو الحدث الذي تمَّ فيه حلول نشمثا في جسد آدم ليصبح الإنسان العاقل الذكي دفعة واحدة، إنما كان ذلك تمهيدًا لذلك الحدث، فلو قمنا بعملية حسابية بسيطة تبدأ بالعيد الكبير (الكرصة) حتى العيد الصغير، يكون لدينا العدد ١٠٨+٤٤ يوم (لغاية أبو الهريس)+ ٩٠ يوم + ٥ أيام المبطلة الثقيلة التي تسبق (البنجة) يكون الناتج= ٢٤٧ يوم، وما هذه إلا فترة الحمل لدى المرأة.

ويبقى السؤال، هل العقل لدى آدم اكتمل عند حلول نشمثا فيه دفعة واحدة وهو جسد كامل، أم كان ذلك مبتدئًا بمرحلة جنينية؟ فكما يحدث على كل جنين في بطن أمه فإنه يقال إن نشمثا علقت أو نبطت فيه كالبذرة التي بدأت بالإنبات، ودليلنا على ذلك أن الطفل لا يبلغ الرشد إلا بعد سنين...

بقي أن نقول إننا يجب أن ننظر عندما نتناول الفكر والمبادئ المندائية (المعرفية) من زاوية ما وصل إليه العقل البشري الذي هو معجزة الخالق العظيم، من تقدم كمي ونوعي في طريقة ووسائل البحث والاستدلال لمحاولة الوصول إلى حقائق الوجود والخليقة والإنسان التي هي ذاتها ما فتئت تشغل الإنسان ومن قبله الملائكة والأثريين.

إلى صاحب الفخامة:

وثيقة إلى صاحب الفخامة رئيس مجلس الوزراء الأفخم بتاريخ ١ شباط ١٩٣٢ من علماء وزعماء وأفراد طائفة الصابئة في العراق ناحية مسيعيدة (الكحلاء – ميسان)، يطالب الموقعون فيها:

الاعتراف بطائفة الصابئة المندائيين أسوة بالطوائف الأخرى، بعد أن صدر قانون التجنيد الإجباري، والذي احترم حقوق جميع الطوائف ماعدا طائفة الصابئة التي كانت بعيدة عن الاشتراك في الهيكل الحكومي والوظائف، وبعد أن التحق بوظائف الدولة عدد من أبناء طائفتنا خدمة للبلاد، لذا أوجب الاعتراف بوجودها واعتبارها طائفة دينية لها ما لغيرها من حقوق ولها ما لغيرها من واجبات خاصة، بعد أن سارع أفراد طائفتنا بالانضمام لخدمة العلم، إلا أن الحكومة استثنت رجال الدين من الخدمة العسكرية لدى سائر الطوائف، عدا طائفة الصابئة، ولما كان رجال ديننا يتوجب عليهم طقوس خاصة ومسالك خاصة في طريقة معيشتهم، لا يمكنهم معها الانخراط في سلك الجندية، وبالإضافة إلى أن رجال ديننا لا يجوز لهم قص شعورهم أو تناول طعام طهته غير يدهم؛ لذا اقتضى إعفاؤهم من الالتحاق بالجندية أسوة بأمثالهم من رجال الدين للطوائف الأخرى.

كذلك إن هناك أعياد مثل عيد البنجة الذي يجب فيه على كل صابئي أن يمتنع عن الطعام والشراب، وأن يسبح في الماء الجاري قبل الأكل والشرب، فكيف يتسنى له القيام بتلك الشعائر وهو في الجندية، لذا اقتضى أن تعترف حكومتكم بديانتنا رسميًا، وأن تعطي لأفراد طائفتنا رخصة عامة في هذه الأعياد ليتمتع أبناء طائفتنا بحرية الأديان التي نصت عليها جميع القوانين والمعاهدات الدولية، كما نص القانون أن عدم السماح لنا بتعاطي أمورنا الدينية بما يجب من الحرية يجعلنا مضطرين ومرغمين لمغادرة هذه البلاد التي تفيأنا بظلالها ونشأنا مستظلين تحت علمها، وهذا أمر لا يرضي فخامتكم بوجه من الوجوه نظرًا لما

عرف عن فخامتكم من السعي الحثيث لتقدم هذه البلاد وزيادة مواردها واستثمار خيراتها ، فعليه تجاسرنا لأن نلتمس من فخامتكم تحقيق المطالب التالية:

١- اعتبار أعياد الطائفة أعيادًا رسمية ليتسنى لنا القيام بشعائرنا الدينية.

٢- الأعياد هي عيد البنجة ومدته خمسة أيام وعيد ميلاد النبي يحيى ومدته يوم واحد ، والعيد الكبير وعيد رأس السنة ومدته أربعة أيام ، والعيد الصغير ومدته يومان.

٣- إعفاء رؤسائنا الروحانيين من الخدمة العسكرية ، لأن أمورهم الدينية لا تساعدهم في الانخراط في سلك الجندية.

يتضح لفخامتكم أن مطالبنا جميعها مشروعة وأن عدم تنفيذها يؤثر على عقيدتنا، ولا يخفى على فخامتكم أننا لم نسجل ديننا رسميًا قبل الآن لأن الحكومة العثمانية كانت بعيدة عن ديارنا ، ولم يكن لنا بها علاقة ، لا من حيث التعليم أو الجندية ، وأما الآن فقد اشتركنا بواجبنا في خدمة الدولة العلية العراقية، الأمر الذي حدا بنا لأن نلتمس من فخامتكم تحقيق مطالبنا المشروعة هذه ، نأمل ألا تتأخروا عن إنصافنا ومساواتنا بغيرنا من الطوائف العراقية المشمولة برعاية فخامتكم، وتقبلوا فائق الاحترام مولانا...

التواقيع:

(صكر بن لفتة، مظلوم بن لفتة، عبيد بن لفتة، عنبر بن منيشد ، جبر بن عسكر ، مغامس بن مطر ، إبراهيم وهام ، يوسف بن مظلوم ، عيدان عبد ، حافظ بن حريب ، كريم بن موحي ، مجيد بن مغامس ، شنشيل حسن ، خضير بن صكر ، آدم بن شمخي ، فنجان بن شمخي ، كاطع بن شمخي ، حسين باهر ، شمخي بن جبر ، مريجب بن بخيت ، سويد بن عايز ، سعيد مغامس ، راشد بن حافظ، جبار عنبر ، ناصر بن صكر ، حمد بن فلت ، ياسر صكر ، عيدان سبتي ، وسمي بن شمخي ، حيدر بن صكر ، داود بن سلمان ، عبد اللطيف حافظ، مهتم بن شمخي،

جبار بن مظلوم، عبد الرازق صكر، زبون بن صكر، ناهي بن جبر، صبري شمخي، غازي بن رميض، عودة بن رميض، شلش بن مطير، خلف بن رميض، حمادي مغامس، عبودي بن حريجة، جبار بن عبودي، شفي بن حبل، جاسم بن شاوي، شنيشل بن كريم، كامل عودة، عاقول بن معيدي، صالح جابر، زغير بن صبر، سلومي لعبد الله، خلف بن عبد الله، بنيان بن شاوي، حرز بن عذاري، مسلم بن منصور.

متى أُقرَّت أعياد المندائيين بصورة رسمية:

في عام ١٩٣٦، وفي عهد حكومة حكمت سليمان، أجيزت الأعياد المندائية، وقد سعى في استحصال ذلك المرحوم شيخ عبد الله شيخ سام، فثبت لأول مرة واستبشر المندائيون لذلك وصار من حق الموظفين منهم التمتع بالعطلات ومشاركة ذويهم الأفراح، وقد ثبت القانون أعياد الصابئة كما يلي:

١- ٨/٧ آب يومان للعيد الكبير.
٢- ٢٣ تشرين الثاني يوم واحد للعيد الصغير.
٣- عيد البنجة في ٢٦ – ٢٧ آذار.
٤- عيد ميلاد النبي يحيى (ع) في ٣٠ آيار.

ولما كانت سنة المندائيين تساوي ٣٦٥ يومًا فقط، فتتقدم الأعياد يومًا واحدًا كل أربع سنوات، وهنا حصل الاختلاف في التواريخ فالتمس المندائيون في حينه من مجلس قيادة الثورة الموقر من عدم تحديد تواريخ معينة لأيام الأعياد.

وقد استجابت الحكومة لهذا الالتماس وأجرى السيد وزير العدل تعديلاً خاصًا بذلك بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٣ والمنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد ٢٢٤٤ بتاريخ أيار ١٩٧٣ جاء فيه:

(باسم الشعب – مجلس قيادة الثورة استنادًا إلى أحكام الفقرة أ من المادة ٤٢ من الدستور المؤقت وبناءً على اقتراح السيد رئيس الجمهورية قرر مجلس قيادة

الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٢-٤-١٩٧٣ إصدار القانون الآتي : تحذف الفقرة ج من المادة الثانية من قانون العطلات الرسمية رقم ١١٠ سنة ١٩٧٢ ويحل محلها:

ج- للصابئة:

١- يومان للعيد الكبير.

٢- يوم واحد للعيد الصغير.

٣- يومان لعيد الخليقة (البنجة).

٤- يوم واحد لمولد النبي يحيى (ع) عيد دهفا اد إيمانا.

المادة الثانية ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويتولى الوزراء تنفيذ أحكامه).

الألوان في كتاب كنزا ربا :

يعبر اللباس المندائي الديني المقدس (رستا) كما ذكر الدكتور صبيح مدلول في مقال له؛ من الأصول الدينية الأساسية في العقيدة المندائية، إذ يجب أن يكون لونه أبيض ، فالأبيض هو لون المندائيين ، عندما تكون الألوان هي السمة الخارجية للطقوس وأعمال العبادة للطوائف والمِلل الدينية، كما هو الحال عند الطوائف والملل الدينية في الشرق.

فالأبيض هو رمز لعالم النور (الحياة)، ويرد مع كلمات أو مصطلحات أخرى ينتج عنها ظهور مصطلح لاهوتي له معنى لاهوتي معين في العقيدة المندائية، أي أنه يستخدم بأساليب مختلفة لها علاقة ما مع مصطلح الأرض البيضاء (أرقا هيوارتيا)... (ومن الأرض البيضاء الطاهرة أربعمئة وأربعة وأربعون ألفًا من الأثريين إلى منداديهي يذهبون) – كنزا ربا ص ٢٨٤... والضياء والأثير وأرض النور وأرض آير البيضاء؛ هي رموز وصور مترادفة لعالم النور، أو هي نفسها يرمز بها لعالم النور ، (وينطلقون في خطى سريعة ويطيرون في أرض آير البيضاء تلك ، والضياء المشرق عليهم لا غروب فيه ولا ظلام) – كنزا ربا ص٨. وهذا يعني أن المصطلحات التالية هي رموز للضياء والأثير والعالم الإلهي، الوعاء الأبيض، السمسم الأبيض، الراية البيضاء، الثمرة البيضاء، وهي تسمية لـــ(سام) : (وجه باهري الصدق أكثر إنارة من أبناء سام "الثمرة البيضاء") – كنزا ربا ص١٣٥... والثمرة البيضاء تأتي أيضًا بمعنى : مكان تجمع أو حفظ نشماثا، يردنا الأبيض (الماء الأبيض) : (مياه يرادن أكوان النور هي مياه أشد بياضًا من الحليب وأبرد وأعذب ورائحتها ألذ من جنات الأطياب العظيمة ، والملائكة الذي يشربون منها لا يذوقون طعم الموت) – كنزا ربا ص٧.

وبشكل مغاير عن الماء الأبيض نذكر المياه ذات الألوان الأخرى، ولها مكانة سلبية في العقيدة المندائية، وردت في نصوص كنزا ربا : (الماء الأحمر : في

البحار السبعة يجري الماء الأحمر ، وكل امرأة تشرب منه تصبح عاقرًا وتفقد عقلها) "كنزا ربا ص ٣٢٨"، الماء الأخضر : (ويأتي من المحيط ونشماثا التي تشم رائحته تخرج من أجسادنا أي تموت) "كنزا ربا ص ٣٢٨"، الماء الأسود : (في أرض سينيا ويسري في الظلام يفور ويغلي ، ومشرب أشرار عالم الظلام ومأواهم هو الماء الأسود) "كنزا ربا" ، النسر الأبيض : عند المندائيين تعبير للكائنات العليا أو الأثريين ، (ومن قال للروحة الكذابة أن النسر الأبيض قد صعد إلى قرية أورشليم) "كنزا ربا ص ٢٧٣"، هنا المقصود بالنسر هو آنوش أثرا ، والنسر الأبيض كنية أيضًا لهيبل زيوا ، ويعتبر النسر رمزًا للملك والمخلص في الشرق القديم.

والمصطلح الأخير بالطبع الأردية البيضاء "الكائنات النورانية" ، ولهذا السبب يحذر من الأبيض بمعنى الالتزام بالأبيض : (أيها المؤمنون بي البسوا الأبيض الذي يشبه الضياء وأردية النور ، واعتمروا بعمامات بيضاء كالأكاليل البهيجة ، وتزينوا بهمياني ، وانتعلوا صنادل واحملوا مركني). كنزا ربا ص٢١.

ورفض كل ما هو ملون[1]: (أعلمكم يا تلاميذي أي رجل ناصورائي يهب الأجر وصدقة ياور فيأتي بأصباغ ويأخذ ثياب بيضاء ويغير أشكالها ويلبسها لزوجته ويجعلها تقف قدامه ، فسيضربه ضربًا بلا حدود)... كنزا ربا ص ١٨١– ١٨٢ لأن الألوان هي رمز للظلام أو رمز للفناء، فإن القوى الشريرة ترتدي الأردية الملونة، (ماذا تقولون لآباثر الأثري عن رداء الظلام الذي ترتدونه في هذا العالم ، عن الأردية الملونة الاثنى عشرة التي جاءت من الظلام)... كنزا ربا ص ٣١٣.

والطاووس بريشه الملون هو رمز للمشاركين الخاطئين في عملية التكوين ، فبثاهيل ارتدى أردية ملونة بعد أن فشل في عملية التكوين، (وحين رأى بثاهيل

١ـ ونصوص كتاب يحيى ص ٨٩ "ضد صبغ اللحى، وفي هذا الاتجاه نلأر اللون الأزرق هو لون الروهة الشريرة، وعند البابليين كان اللون الأحمر هو لون قوى العالم السفلي، واللون الأسود والرمادي هو لون Ahrimans الفرس.

هيأته الذاتية لابسًا سبعة أثواب من كل صنف ومن كل لون ؛ خلعها وألقاها عنه، وألبسه أباثر من بهائه ومن نوره الخفي).. كنزا ربا ص ١٢٨- ١٢٩، وقال هيبل زيوا يوم زواجه بزهرئييل: (الأشرار احاطوني وألبسوني ثوبًا من حرير ، وضعوا علي أردية من كل لون)... كنزا ربا ص ١١٤.

والجسد كرداء أرضي لنشمثا هو رداء من جميع الألوان، وتبعًا لذلك فالصباغة بالرداء الملون يقود إلى الجحيم، واليوم لا يزال البعض من المندائيين ومنهم رجال الدين يحرِّم ارتداء الملابس الملونة - خاصة كبار السن منهم - لكن الأكثرية لم يلتزموا بهذه الفريضة بالتمام، وبالمقابل التزموا بشدة ومنذ القدم وإلى يومنا هذا بفريضة لون ملابس الصباغة (التعميد) - رستا - وملابس الموت بالأبيض، لأنه ركن من أركان العقيدة المندائية.

ومن جانب آخر نذكر أن اللون الأبيض كرمز للحياة أو للعلم الإلهي منتشر بصورة كبيرة من خلال ارتداء رجال الدين الزي القدسي الأبيض في أنحاء واسعة في الشرق، كذلك عند الفرس والمانويين، وفي الكنائس المسيحية أن اللون الأبيض هو لون التعميد، ونذكر هنا أيضًا التصور عن رداء النور السماوي، وشبيهه الأرضي الرداء الأبيض المقدس.

ومما سبق وردت بعض التصورات الغنوصية التي وجدت في المندائية العديد من الاستشهادات ضمن مبدأ رداء التصوف ككل[1]، فالأردية البيضاء إذا هي أردية الكائنات النورانية والمؤمنين على الأرض ، ونفهم من كل ذلك وللأسباب أعلاه أصبح الأبيض تقليدًا من جهة وفريضة من جهة أخرى عند المندائيين حسب ما جاء في العقيدة المندائية.

١- ترتدي الكائنات النورانية أردية الضياء عندما تـ لتقي النشماثا، كما أن أردية النور (الضياء) استخدمت في عملية التكوين، قال أباثر إلى أبثاهيل: خذ من سبعة أثواب الضياء والنور والوقار التي أنا ألبستك والق بها في الماء العكر فتصير الكثافة حالاً. كنزاربا ص١٢٨-٢٢٩